

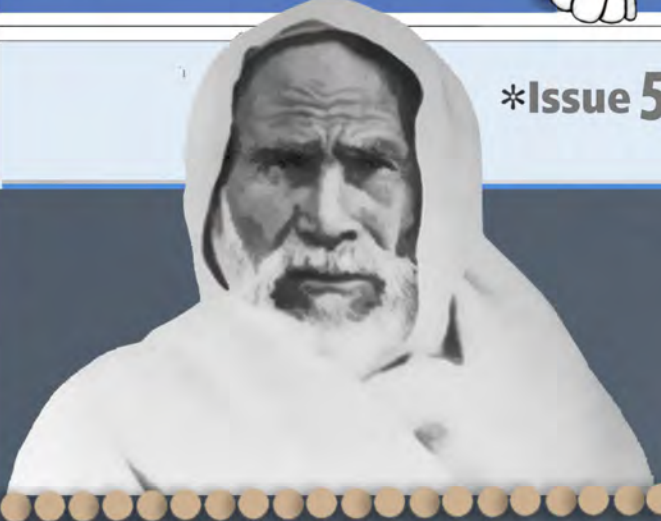
شعارها
عدو جدك ما يودك



العربي القديم

Issue 5 November 2023

العدد الخامس - تشرين الثاني/ نوفمبر 2023



١٩٣١

قنصل إيطاليا يعترض على
تسمية شارع عمر المختار في غزة

الملف

العشائر في الحياة
السياسية لقطاع غزة

١٩٦٢

استطلاع مصور: غزة الحاضرة

١٩٨٨

نزار قباني يكتب عن تلاميذ غزة

أحمد برقايوي
يكتب عن غزة
معين بلسيلسو

غزة كبرياء التاريخ

[عدد خاص]





محمد طه العثمان

كثيرة هي القصائد التي حملت معها نبوءات للمستقبل، وكثير من الشعر شجر الروح، حين حاكى الواقع الذي تعيشها في شتى العصور، فكيف إن كان هذا الشعر لصيق قضية عادلة خذلها كل العالم.

قصيدة "يا تلاميذ غزة" التي قالها نزار قباني في الانتفاضة الأولى، ولان غزة زمن الانتفاضة الأولى هي غزة هذه الأيام، مع جرة غزة أكبر، ووحشية عدو أكبر، وتخاضل إنساني أكبر، فحري بنا أن نتعلم الدروس من غزة، وأهالي غزة الأباة الصامدين، كيف صنعوا شيئاً من لا شيء، بالعزم واليقين قالوا لأكثر قوة، وأعطى جيش غاشم: لا.

إن قصيدة نزار قيلت في عام 1988، حيث تحدثت عن مقاومة الأطفال الفلسطينيين، لقوات الاحتلال الإسرائيلي المسلحين بأحدث الأجهزة والدبابات، خلال الانتفاضة الأولى للأقصى، في المقابل كان الغزّويون عزلاً من الأسلحة، ما عدا الحجارة التي جابهوا بها جنود الاحتلال.

لذلك المتابع قد يجد الفوارق ضئيلة، بين ذلك الزمن واليوم، ضئيلة حتى يتخيل سامع هذه القصيدة أنها قيلت يوم أمس. لكن في جانب آخر هناك فوارق شاسعة، فإن ألقينا نظرة إلى المحيط العربي، سنرى التشبث زاد عن أمس، والخنوع تجذر في النفوس، والتسلط قتل كل نفس أبيّة، سنرى هزيمة كل عربي منهم، والشموخ والمقاومة لدى أهل غزة كما غمدت.

في القصيدة، فيما تتلخص مقاربات كثيرة زمنياً، فنزار ومنذ البيت الأول اعترف بهزيمة العرب، حين جسد نفسه قائلاً، ومخاطباً الآخر "الغزّاي" فيقول له: علمونا بعض ما عندكم فنحن نسينا، لا تبالوا بإذاعتنا، ولا تسمعونا إلخ. في ما سبق صكّ اعتراف بهزيمتنا، مثلما الآن نريد صكّ تعريف بعجزنا، والانسحاق الذي وصلنا إليه، حيث نقف أمام بطولة، وصمود هؤلاء التلاميذ الجدد، ونحن بلا حيلة، حتى من الكلمة. كذلك قدم نزار ملحمة تخلد بطولات أطفال الحجارة. ملحمة عابرة للزمن فإن قارنا هذه البطولات بزمن الخنوع "اليوم" سنجدها قابلة بكل ما فيها، لأن تكون هنا بين يدينا، وعلى مسامعنا، وتشير إلى عجزنا.

إن أطفال الحجارة بهروا العالم، وأثبتوا للجميع أن المقاومة لن تموت، حتى وإن لم يبق إلا الحجارة، مقابل الدبابة، والطائرة والرشاش، بينما اليوم يعود الغزّويون لإبهارنا مرة أخرى بالصبر، والوقوف أمام أعتى آلة عسكرية، وهم عراة إلا من الكرامة والعزة. ومثلما كانت القصيدة نبوءة لانتفاضات قادمة، يطرح فيها نزار الأمل بزوال الكيان في أكثر من موضع، متأكداً ومؤكداً أن دولة الاحتلال ليست سوى وهم، سيزول عاجلاً، أم آجلاً، عدا عن أن نزاراً في معظم قصيدته لم يستعص عن وصف صمود الغزّويين بوصف مجازر الاحتلال بحقهم، ربما رأى في ذلك هوانه.

ولابد من الاعتراف أخيراً أن أسياذنا، وأسياد الأدب العربي في هذه المرحلة هم أطفال الحجارة، فهم الذين بعثروا أوراقنا، ودلقوا الجبر على ثيابنا، وانتهموا عذرية نصوصنا القديمة، وطرّدونا من وراء مكاتبنا كيفية الهواء، ثم لابد لنا من الاعتراف، والاعتراف موجع أن أطفال الحجارة (بمدلونا) .. نحن الكتاب العرب الذين كنا نتصور أنفسنا آلهة تمشي على الورق، وملوكاً لا تغيب الشمس عن قصائدهم، نحن لسنا في الحقيقة، أكثر من ملوك من ورق، وقصائدهم من ورق.



الفاضبون

نزار قباني

يا تلاميذ غزة

لا تعودوا لكتاباتنا ولا تقراونا

نحن آباؤكم فلا تشبهونا

نحن أصنامكم فلا تعبدونا

نتعاطى القات السياسي

والقمع ونبني مقابراً وسجوناً

حررونا من عقدة الخوف فينا

واطردوا من رؤوسنا الأفيونا

علمونا فن التشبث بالأرض

ولا تتركوا المسيح حزيناً

يا أحبائنا الصغار سلاماً

جعل الله يومكم ياسميناً

من شقوق الأرض طلعتهم

وزرعتم جراحنا نسرينا

هذه ثورة الدفاتر والحبر

فكونوا على الشفاه لحنوا

أمطرونا بطولة وشموخاً

واغسلونا من قبحنا اغسلونا

لا تخافوا موسى

ولا سحر موسى

واستعدوا لتقطفوا الزيتوناً

إنّ هذا العصر اليهودي وهم

سوف ينهار لو ملكنا اليقيناً

يا مجانين غزة ألف أهلاً

بالمجانين إن هم حررونا

إنّ عصر العقل السياسي ولّى

من زمان فعلمونا الجنونا

من ديوان (ثلاثية أطفال الحجارة) 1988



يا تلاميذ غزة
لا تعودوا لكتاباتنا
ولا تقررأونا
نحن آباؤكم فلا تشبهونا
نحن أصنامكم فلا تعبدونا
نتعاطى القات السياسي
والقمع
ونبني مقابراً وسجوناً

يا تلاميذ غزة علمونا

بعض ما عندكم فنحن نسينا

علمونا بأن نكون رجالاً

فلدينا الرجال صاروا عجينا

علمونا كيف الحجارة تغدو

بين أيدي الأطفال ماساً ثمينا

كيف تغدو دراجة الطفل لغماً

وشريط الحرير يغدو كميناً

كيف مصاصة الحليب

- إذا ما اعتقلوها -

تحولت سكيناً

يا تلاميذ غزة

لاتبالوا بإذاعتنا

ولا تسمعونا

إضربوا إضربوا

بكل قواكم

واحزموا أمركم ولا تسألونا

نحن أهل الحساب

والجمع والطرح

فخوضوا حروبكم واتركونا

إننا الهاربون من خدمه الجيش

فهااتوا حبالكم واشنقونا

نحن موتى لا يملكون ضريحا

ويتمى لا يملكون عيوناً

قد لزمنا جحورنا وطلبنا منكم

أن تقاتلوا التينا

قد صغرنا أمامكم ألف قرن

وكبرتم خلال شهر قرونا



شارع عمر المختار في غزة في ستينيات القرن العشرين (العربي القديم)

قصة أشهر شارع في غزة:

شارع عمر المختار واعتراض قنصل جنرال إيطاليا على تسميته

بقلم: فهمي الحسيني
رئيس بلدية غزة سابقاً

أول رئيس لبلدية غزة يروي في مقال له، نشر في أربعينيات القرن العشرين كيف كرمت غزة اسم الشهيد عمر المختار، وماذا دار بينه وبين قنصل إيطاليا الغاضب (العربي القديم)

تسيء إلى دولة إيطاليا، فإن هذه الإساءة لم تكن من عملنا، بل هي من عمل إيطاليا نفسها، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام".

رئيس بلدية غزة
فهمي الحسيني.

وعلى إثر ذلك ورد لي كتاب شكر من السيد بشير بك السعداوي، رئيس الجمعية الطرابلسية البرقاوية يشكر فيه مجلس بلدية غزة لتسمية أحد الشوارع الرئيسية باسم الشهيد عمر المختار، فأجبت على كتابه بالكتاب الآتي:

"حضرة الوطني الكبير بشير بك السعداوي، رئيس الجمعية الطرابلسية البرقاوية في دمشق المحترم: أشكركم على كتابكم المؤرخ في 22 ديسمبر سنة 1931، وإني أؤكد لكم أن اسم الشهيد عمر المختار قد نقش في قلب كل عربي، وإن البطولة التي امتاز بها هذا الرجل العظيم، كانت حافزاً دعا مجلسنا البلدي لتسمية أوسع وأهم شارع في مدينتنا، باسم هذا البطل العربي الذي ضرب أعظم مثل في التضحية والإخلاص لوطنه، كما إنني أحبيكم وأحيي أهالي طرابلس، باسم أهالي مدينة غزة، التي بوهنت على أنها تقدر رجال الأمة حق قدرها، وتعمل على تخليد ذكراهم. وإني أؤكد لكم بأننا سنحتفظ بصورة شهيدنا كمنهل إحياء للوطنية الصادقة، التي ستثير سبيلنا في نشاطنا الوطني، وتذل أمامنا كل المصاعب والعقبات، التي تصادفنا في سبيل خدمة الوطن. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام".

رئيس بلدية غزة - فهمي الحسيني.

فكلما ذكر اسم شارع عمر المختار، ولاشك بأنه يذكر يومياً ألوف المرات، فهو بمثابة ألوف اللعنات اليومية تصب على رأس إيطاليا من أهالي غزة، كما أنه تذكير لهم بجريمة إيطاليا نحو العرب.

إن غزة لفخورة كل الفخر بأنها كانت أول مدينة عربية، استنكرت بشكل عملي جريمة إيطاليا النكراء، كما أنها كانت أول مدينة سارعت في جمع الإعانة لبلاد الحبشة عندما اجتاحتها إيطاليا، وسلمتها لقنصل الحبشة في القدس، فأصبحت مدينة غزة بهذه الأعمال، جديرة بأن تنال لقب: عدو إيطاليا رقم 1.

إن غزة لفخورة بأنها
كانت أول مدينة عربية،
استنكرت بشكل عملي
جريمة إيطاليا النكراء،
كما أنها كانت أول مدينة
سارعت في جمع الإعانة
لبلاد الحبشة عندما
اجتاحتها إيطاليا،
وسلمتها لقنصل الحبشة
في القدس

نشرت الصحف الفلسطينية منذ تسع سنوات، خبر إعدام الطليان للبطل العربي خالد عمر المختار، الذي وقع في أيديهم أسيراً في إحدى المعارك الحربية التي كان يديرها دفاعاً عن وطنه. وقد كان لهذا الخبر المؤلم رنة أسى وحزن شملت جميع العالم العربي والإسلامي، فبكوه بكاء مراً، وامتلات قلوبهم حقدًا على تلك الدولة الطاغية الفاشية التي لم تحترم حقوق أسرى الحرب، وانتقاماً فظيلاً من رجل قارب سن الثمانين.

وقد فكرت في تخليد هذا العار الذي ارتكبه إيطاليا، وإبقائه ذكرى للعرب ليذكروه على مر العصور والأيام، فاقترحت على هيئة مجلس بلدية غزة في إحدى جلساته، وكنت إذ ذاك رئيساً له، بتسمية أهم شارع في المدينة باسم الشهيد عمر المختار، فلقى اقتراحي ارتياحاً من جميع الأعضاء، فاتخذنا قراراً بتسمية شارع جمال باشا السفاح باسم البطل الشهيد العربي، وأعلن ذلك فوراً. وسرعان ما تناقلت الصحف العربية هذا الخبر، محبذة إياه، وطالبة من المدن الأخرى اقتفاء أثر بلدية غزة.

ولم تمض مدة على هذا العمل، حتى حضر المستر ميلر مساعد حاكم اللواء إلى غزة وطلب مقابلي. وعندها أخبرني أن قنصل جنرال إيطاليا، قد احتج لدى الحكومة على تسمية بلدية غزة أحد شوارعها باسم عمر المختار، وأنه يجب علي أن أبين للحكومة سبب إقدام البلدية على هذا العمل، فأرسلت لحاكم اللواء كتاباً هذا نصه:

"سعادة حاكم اللواء الجنوبي المحترم:

علمت بأن قنصل جنرال إيطاليا قد قدم للحكومة احتجاجاً على تسمية بلدية غزة لأحد شوارعها باسم البطل العربي الشهيد عمر المختار؛ إنني أعتقد أن القنصل لم يكن محقاً باعتراضه هذا، لأن لكل أمة من الأمم أن تكرم وتمجد أبطالها، ولو أساء ذلك إلى أمة أخرى، فإذا أسست بلدية غزة أحد شوارعها باسم الشهيد عمر المختار، فهو لأن المجلس يعتبر هذا الشهيد الذي

حارب إيطاليا سنين طويلة، مثلاً في الذود عن وطنه، وقد

ضحى حياته في هذا

السبيل، مستحق لكل

تمجيد وتخليد.

فإذا كانت ذكرى

عمر المختار

دمعة وفاء وتقدير لفقيد البلاد فهى الحسيني

أشاع رحيل فهى الحسيني في 25 ديسمبر 1940 الحزن والأسى في نفوس أبناء غزة، فقد كان لهذه الشخصية البارزة المولودة في مدينة غزة سنة 1886 والذي درس الحقوق في اسطنبول ومارس المحاماة والصحافة، دور رائد في تاريخ المدينة، منذ فاز برئاسة بلديتها بالانتخاب عام 1928 وكان أول رئيس بلدية منتخب، حتى عزله عن منصبه بعد عشر سنوات واعتقاله في صرند وإبعاده خارج البلاد عام 1938. هنا نموذج لما كتب عنه في الصحافة الفلسطينية إثر رحيله وهو في العقد الخامس من عمره (العربي القديم)



أقبل العيد على أطفال صغار حرموا الآن من والدهم وعطفه؟
أقبل العيد ليستقبله الغزيون بعيون باكية وقلوب دامية، بينما كانوا يستقبلونه بثغور باسمه ونفوس ضاحكة مستبشرة. سبحانك اللهم، هكذا أردت وهكذا شئت.
أبا الفاروق:

لقد كان يوم وفاتك أكبر زلزال تفجرت منه ينابيع المآقي في بلدك الحزين من أقصاه إلى أقصاه، وكأن في كل قلب مأتماً، وفي كل قطرة من الدم أمواجاً من النوب القاسية، والكوارث الشداد، حتى الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا سن الهموم، كانوا يكون ولفقك يولولون، وكانوا يصيحون: مات فهى الحسيني.. مات أبو فاروق أبو الفقراء..

كانوا يندبونك ويقولون: مات أبو الفقراء.. مات من كان علينا يعطف ولحالنا يرثي.

لقد مت يا أبا الفاروق ونحن أحوج ما نكون لشخصيتك البارزة وعقلك الراجح، وبطولتك الفذة ونزاهتك البالغة، وتجاربك الحكيمة وعواطفك النزيهة، وشجاعتك النادرة ونبلك السامي.

خبريني أيتها الروح الطاهرة، وقد حرمت قبلة يدك، ومتعة النظر إليك، والاستماع لرنين صوتك وعذب حديثك، وجميل خطابك وحسن عطفك وشدة حنانك. حدثيني فلقد ذهلت يوم رأيته في طريق الخلود إلى ربك. حدثيني وقد كانت روعتي أشد، يوم أن وضعوا جثمانك الطاهر داخل القبر..

إبكي أيتها العيون... وتحسري أيتها النفوس، واخفقي واضطربي وتقطري أيتها القلوب، لخطبنا الجسيم ومصابنا العظيم، فقد مات فهى الحسيني الرجل الكريم.

إبكي يا غزة ابنك البار ورجلك الأوحده. اندبيه يا غزة فهو الذي ما عاش لنفسه، وإنما عاش لأجلك، ومات في حبك وحسرة عليك. مات فهى فذكروه أيها الغزيون في كل صباح ومساء.. مات فهى فذكروه وأوفوه حقه من الحمد وحسن الثناء..

مات فهى فواحسرة الشباب عليك. مات فهى وقد كانت قلوبنا إليك، ونفوسنا ملك يديك.

**بعد أداء صلاة العيد،
توجه الغزيون ووفود
القرى والبلاد، كبيرهم
وصغيرهم، غنيهم
وفقيرهم، زرافات
ووحداً، ووجهتهم صوب
الفقيد الغالي. وهناك
عند القبر، وقفت الجموع
يخيم عليها السكون،
ويحوطها الخشوع**



كان الغزيون في كل عام يستقبلون الأعياد بانسراح، فيقيمون الأفراح وينصبون أقواس الزينات، ويتبادلون مع بعضهم بعض الزيارات. وإذا نظرت إلى وجوههم تراها يعلوها الفرح، ونفوسهم يملؤها السرور ويعمها الجور؛ أما اليوم وفي (عيد الأضحى) فكان الناس في حزن عميق ووجوم ظاهر، وأسى باد على وجوههم لفقد المرحوم العلامة الكبير فهى بك الحسيني، ابن غزة البار، ورجلها الأوحده، ورئيسها الجليل.

عيد حل ولكن ليس ككل الأعياد. عيد جاء بعد أن اختطف الموت منا، أعز رجل لدينا.

في الصباح وبعد أداء صلاة العيد، توجه الغزيون ووفود القرى والبلاد، كبيرهم وصغيرهم، عظيمهم وحقيهم، غنيهم وفقيرهم، زرافات ووحداً، ووجهتهم صوب الفقيد الغالي.

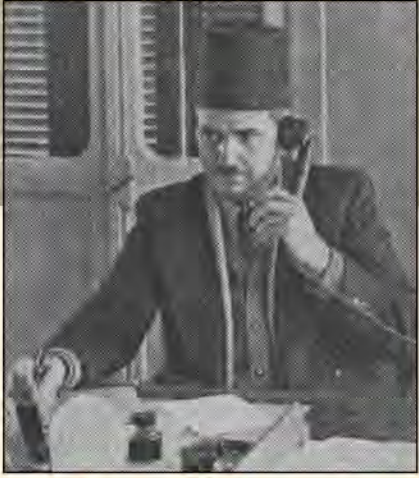
وهناك عند القبر، وقفت الجموع يخيم عليها السكون، ويحوطها الخشوع، فثارت النفوس من طيب الذكريات، وخرجت التأوهات تتبعها الحسرات، فتأثرت العيون وانهمرت الدموع.

أبا الفاروق انظر إلى هذه الجموع الغفيرة والوفود العديدة، الواقفة بجوارك. أتراها قد تدفقت إلى ديوانك لتمنئك بحلول العيد؟!

أتراها تقدم لك شكرها على موقفك لك مجيد مشرف؟! أتراها حضرت لتعبر لك عن شدة إخلاصها وعميق شكرها، يوم عدت من سفرك البعيد؟! تستقبلهم بثغرك الباسم، وقامتك الطويلة وطلعتك البهية فتشكرهم وتمنئهم وتحادثهم؟ ولكن الآن واحسرتاه... وأسفاه...

أنت الآن في القبر ساكن صامت، لا تتكلم ولا تتحرك. وإن هذه الجموع ما حضرت إلا لتقرأ على روحك الطاهرة سورة الفاتحة، بعد أن حكم الله عليك بفراقنا الأبدي، لنحرم من جهادك، ولنفجع بوفاك، فإننا لله وإنا إليه راجعون. سبحان الحي الذي لا يموت.

ما هذه المصيبة، ما هذه الكارثة العظيمة! ماذا نسمع وماذا نرى؟ أيأتي العيد وغزة تلبس ثوب الحداد، وما اعتاد أهلها لبسه من قبل... أيقبل العيد على غزة وأهلها في حزن شديد...



بقلم: رشدي الشوا
رئيس بلدية غزة

مدينة غزة في خرابها وازدهارها

في الطرف الجنوبي الغربي من فلسطين، وعلى بعد ثلاثة أميال من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، تقع مدينة غزة، رابع مدينة في العالم من حيث القديم، كما ذكر كثير من المؤرخين. وهذه آثارها تدل على ما كان لها من أهمية تاريخية فيما مضى من سالف الأزمان.

منذ أقدم الأزمان

وهذه المدينة ساحة

حربية تصطدم فيها

جيوش الغزاة والفاثحين،

بما لها من موقع جغرافي

ممتاز، جعل لها مكانة

حربية خاصة مما سبب في

دمارها، وإعادة بنائها في

كل مرة

وعلى كل حال فإن غزة تعتبر من أقدم المدن في العالم وقد ورد ذكرها كمدينة عظيمة ذات أهمية تاريخية وتجارية وعلمية، إذ هي مفتاح مصر والشام والجزيرة العربية لكونها مركزاً هاماً للقوافل التجارية، ومنهلاً عظيماً للعلم يؤمه الكثيرون من الطلبة، بينهم عدد من اليونانيين والرومان؛ إذ كان في غزة جامعة مشهورة يشرف عليها أساتذة من أساطين العلم في عصرهم.

منذ أقدم الأزمان وهذه المدينة ساحة حربية تصطدم فيها جيوش الغزاة والفاثحين، بما لها من موقع جغرافي ممتاز، جعل لها مكانة حربية خاصة مما سبب في دمارها مراراً، وإعادة بنائها بعد انتهاء الحرب في كل مرة. وآخر عهدها بذلك عام 1914، حيث كانت أبنيتها وما فيها من آثار، مستهدفة لقنابل المتحاربين في الحرب الكونية العظمى، وما هو إلا وقت قصير حتى أصبحت غزة ركاماً. وما إن وضعت الحرب أوزارها ونثر السلام ألويته على العالم، حتى عاد الغزيون إلى مسقط رأسهم بعد أن غادروها مدة الحرب، فوجدوها قاعاً صفصفاً، فشمروا عن سواعد الجد، وأخذوا في إعادة بنائها من جديد شيئاً فشيئاً، حتى عادت إلى ما كانت عليه قبل الحرب، واستعادت مكانتها إذ امتدت يد التنظيم والعمران. غرباً قاربت شاطئ البحر، وأقيمت فوق كثران الرمال الذهبية منازل جميلة على أحدث طراز، تكتنفها شوارع واسعة منظمة خير نظام.

بالإضافة إلى التقدم العمراني العظيم، قطع الغزيون شوطاً بعيداً في الرقي في الميدان الزراعي. أينما سرت تجد بساتين البرتقال والأثمار الحمضية والكروم، ومختلف أنواع الفواكه والخضار منتشرة هنا وهناك حول المدينة، وحقول الحبوب بأنواعها تتعدى ذلك إلى مدى بعيد، فقد استبدل الغزيون الأدوات الزراعية القديمة بالمحاريث الحديثة والأدوات العصرية. ولا يخفى أن مدينة غزة تَمون الآن قسماً كبيراً من فلسطين بخصائصها الزراعية، فضلاً عن تصديرها الحبوب لعدة جهات في الخارج أثناء سني الخصب.

أما من الوجهة الصناعية فقد خطا الغزيون خطوة لا بأس بها في الحقل الصناعي، فقد كثرت محالجات الحياكة، وأدخلت عليها تحسينات جمة، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من معامل الفخار كثيرة الانتشار منذ القدم، والتي زاد انتشارها الآن، بمناسبة صعوبة استيراد الأواني الزجاجية من الخارج.

تبلغ مساحة منطقة غزة ألف ومائة وستة وتسعين كيلومتراً مربعاً، وأما منطقة البلدية فتبلغ مساحتها حوالي 7800 دونم، ويقطنها حوالي الثلاثين ألف نسمة. هذا ولا يزال الخمسة والعشرون ألف من الآخرين من

الغزيين، منتشرين في جميع أنحاء فلسطين، ويقطن أغلبهم في حيفا ويافا.

تمتاز مدينة غزة بروعة مناظرها الطبيعية، التي لم تتطرق إليها يد التكلف والتزييف، فأينما وجهت وجهك وتأملت خلال فصل الربيع، فلا تجد إلا بهاء وجمالاً منقطع النظير. حقول واسعة ذات أرض مكسوة ببساط هندسي رائع، كأن الطبيعة قد أفرغت كل ما في الربيع من جمال على هذه المدينة. فأينما سرت وحيثما حلت يهب نسيم معطر بروائح الأزهار وعبير الرياحين. وإذا ما أقبل فصل الصيف، طابت الإقامة وقضاء مدة الاصطياف على تلك التلال الرملية ذات اللون الذهبي على شاطئ البحر، إذ ينتعش المصطاف بنسيم البحر العليل. لا تسلم عن لذة الاستحمام وهنائه في بحر غزة وعلى شاطئه النظيف.

هذا وقد وفقت البلدية توفيقاً كبيراً في تنظيم وتنسيق المدينة لمدى بعيد، وبذلت جهود جبارة في سبيل تقدم المدينة وازدهارها، بما يتفق مع مكانتها، فبعد أن كانت واردات البلدية لا تروبو عن الألف جنيهه أيام العهد التركي، بلغت هذا العام ثمانية عشر ألفاً من الجنيهات، دون اللجوء إلى إقبال كاهل الأهالي بالضرائب الباهظة.

أنجزت بعونه تعالى خلال العامين الماضيين، نتيجة الجهود المتواصلة والسعي الحثيث، المشاريع الهامة التالية التي طالما افتقرت المدينة إليها منذ زمن بعيد.

كانت المدينة تستقي من بئر معروفة بملوحة مياهها، وعدم صلاحيتها صحياً، فاتخذت الإجراءات السريعة الحاسمة، وانتخبت أرضاً تقع مقابل سكة الحديد، معروفة بعذوبة مياهها، وتم إنشاء بئر ومضخة وعمارة فيها، ووصلت الأنابيب اللازمة ووزعت المياه بصورة عامة وكافية لعموم أنحاء المدينة خلال عام واحد. وقد بلغت مصاريف ذلك حوالي الخمسة آلاف جنيهه دفعت بكاملها من صندوق البلدية. هذا وقد أثبت الفحص الكيميائي بدوره عدم وجود مياه تعادل البئر الجديدة في فلسطين كلها، من جهة عذوبتها وموافقتها للصحة.

- تم تعبيد مالا يقل عن 24000 متر مربع من الطرق الهامة في المدينة.
- تم رصف ما لا يقل عن خمسة شوارع من المنطقة الغربية، بعد أن كانت كثباناً من الرمال.

- تم إنشاء أرصفة على جانبي شارع عمر المختار، مما أكسبته منظراً بديعاً من جهة، ومما ساعد على تنظيم حركة المرور من جهة أخرى.

أنشئت شبكة من المجاري المؤقتة في المدينة، مما ساعد كثيراً على نظافة المدينة، واتخذت تدابير فعالة لمكافحة الملاريا والأمراض في المدينة وضواحيها.

- أضيف صف جديد على مدرسة الإناث التي تديرها البلدية، وتنفق عليها من أموالها الخاصة. وأصبحت تضم ثلاثمائة وخمسين فتاة ينهلن العلم والتمهيد من معينها.

- أضيف إلى منتزه البلدية الذي يعتبر آية في التنظيم وحسن التنسيق، حرش بديع رائع، سيكون في القريب دار راحة وهناء للغزيين وضيوفهم، لقضاء أوقات الهدوء واستعادة النشاط بين وارف ظلاله.

أحوال غزة

قبل 77 عاماً

أتريد يا أخي أن ترى صورة للشدة والبلاء يقعان على قوم، فلا يكسبانهم إلا قوة وصموداً وصبراً وعزيمة؟ تعال معي، ولنزر هذه المنطقة الواسعة من الأرض التي تبدأ عند الخليل وتدور بغزة، وتشمل بئر السبع، وتنتهي بصحراء سيناء.

القفازة

مجلة فلسطينية عربية اسبوعية ثقافية مصورة

رئيس التحرير:

مسن مصطفى

الإدارة { عمارة داود
لقدس - فلسطين

تلفون - ٤٢٦٨

ص. ب. ١٠٧٥

بدل الاشتراك ٨٥٠ ملا في فلسطين
عن سنة (٥٢ عدداً)عن نصف ٤٥٠ ملا
سنة (٣٦ عدداً)

العدد ٣

(الجمعة) ١٨ ابريل سنة ١٩٤٧

المجلد ١

عنك امور واشياء ، فاقراً صفحات كثيرة عن هذه المجاعات وما اليها في هذا الذي دونه المقريري في «سلوكه»، وذلك الذي سجله ابن الفرات في تاريخه وستجد صفحات كثيرة فيما خلفه لنا الرحالون الذين زاروا هذه البلاد من اندم العصور إلى الآن .

- ٢ -

ولعلك تسألني عن السر في حدوث هذه المجاعات . ولست يا أخي ادعي معرفة لا يتطرق اليها الشك ، او علماً لا تنسرب اليه الريبة . فالأمر بعد لم يتقصه العلماء الى نهايته ، والاراء فيه بعد متضاربة . ولكن ذلك لا يمنعني من ان انقل اليك ما اعرفه وما اظن ، تاركاً لك ان تتقصى جهدك ، وتعرف سبيلك الى ما هو ابعد عن الشبهة ، واقرب الى الصواب ، ان شئت .

ولعلني لا اكلفك شططا ان انا طلبت اليك ان ترافقني في رحلة قصيرة - تبدأ من شمال سورية ، وتنتهي بجنوب الحجاز ومصر . ولن ازعجك في هذه الرحلة ، فكل ما يعيننا منها الان ان ننتبه الى ان سورية ولبنان غزيرا المطر ، بينما نجد الحجاز ومصر يكاد المطر ينعدم فيهما . وابن تقع فلسطين في هذه المنطقة ؟

تقع فيما يسمى « منطقة انتقال » . فالمطر في شمال سورية متر او يزيد ، وفي القاهرة اربعة سنتمترات او ينقص ، اما في فلسطين فيتراوح بين سبعين سنتمتر في الشمال وخمسة وعشرين في الجنوب . ومنطقة الانتقال في حديث الجو والطبيعة قد تكون منطقة اعتدال ، ولكنها قد تكون منطقة نزاع بين الخير الكثير ، والشر العظيم ، وقد يتغلب الواحد على الآخر ، فينال المنطقة خير او شر . ويحدث كثيراً ان يكون جنوب فلسطين مجالا لتغلب الجو الصحراوي ، فتهب عليه الرياح الجافة وينعدم



جوع وعطش وصبر

لمؤلفه «ابو رائد»

اتريد يا اخي ان ترى صورة حية للشدة والبلاء يقعان على قوم ، فلا يكسبانهم الا قوة وصموداً وصبراً وعزيمة !

تعال اذن معي ، ولنزر هذه المنطقة الواسعة من الارض التي تبدأ عند الخليل وتدور بغزة ، وتشمل بئر السبع ، وتنتهي بصحراء سيناء .

انها ارض مساحتها اثنا عشر مليوناً من الدنمات ، لكن تربتها جافة في الغالب ، فهي قليلة الانتاج عادة . على ان ثمة اجزاء منها فيها العامر من الارض ، والحلي من التراب ، والبليل من النسيم ، وهذه العوامل تجعل منها مناطق خصبة تنتج الحب للاكلين ، والكلأ للرعاة .

لكن المطر القليل الذي ينقذ الناس عادة احتجب هذا العام ، وطال احتجابه . فلا غم شباط نفع ، ولا زلازل آذار الهدار جاءت ، ولا احيا نيسان سكة ولا فداناً . فماذا يصنع الناس . ليس للحاصد حب يجمعه ، وليس للاكل دقيق يعجنه ، وليس للدابة كلاً ترعاه ، وليس للعطش ماء يرويه . وهكذا جمع الناس امرهم على الرحيل ، فكان ثمة من هاجر الى الرملة ونواحيها وهم اقرب الراحلين ، ولكن هناك من شط به النوى وبعد به المزار عن الاهل والديار .

وانت اذا قابت من التاريخ صفحاته ، ودرست من الحياة هناك تطورها ، وتبينت ما يصيب الناس ، عرفت ان هذا « القحط » ليس امراً نادراً ولا طارئاً ، ولكنه شيء تعود الناس من قبل . قلب صفحات التوراة واساطير الناس واخبار القبائل ، فانك واجد فيها جميعها ما يدل على حدوث الكثير من مثل هذه الايام ، هي « الايام التي نداولها بين الناس » .

وهل غابت عنك قصة ابراهيم الخليل او يوسف الصديق ؟ ان غيبتها

“ هذا التاريخ الطويل للتأثير المتبادل في هذه الربوع أوجد هناك جيلا من الناس له صفات خاصة به. ولعل أبرز هذه الصفات الصبر والإيمان، وما يتبع ذلك من قوة النفس التي تصبر وتؤمن، إنهم يعرفون أن هذا الأمر يقع ولكنهم يتحملونه، ويدركون شدته ولكنهم يصبرون عليه ”

هذا كله جميل، لكنه مؤقت، فهل يمكن القيام بعمل دائم في سبيل هذه البلاد واهلها ؟

الذي اعتقده هو انه من الممكن . يجب ان تقام في المنطقة السدود والخزانات لاستبقاء كل قطرة من الماء تسقط في سنى الخير ، واحتجازها لايام الصيف ثم لايام القحط . واذا رويت الارض في الصيف ، كان تأثيرها بالقحط اذا جاء اقل من تأثيرها الان .

وهذا الماء يمكن السكان من التوسع في زرع اراض جديدة، وبذلك يدخرون بعض الثروة للسنين العجاف .

وسكان هذه المنطقة بحاجة الى ان يكتثروا من « الزراعة الجافة » ،

وهذه ناحية مهمة بعد هناك . وبذلك تتنوع محاصيلهم ، وتيسر لهم سبلا للقوت جديدة .

ولما كان هؤلاء القوم تهمهم مواشيهم كثيرا فانه من الضروري ان يدربوا على وسائل انتاج الغذاء اللازم للدواب والذي يمكن تخزينه من موسم الى آخر . فاذا قل المطر في عام لم يجدوا انفسهم خلوا من كل ما ينفع الدواب والمواشي . وهل من الممكن ان تدخل هذه المناطق صناعات يدوية تفيد القوم في زيادة ثروتهم بحيث يجدون في السنة الشحيحة بعض ما ادخروه في السنة الكريهة ؟

وعلى العموم فهل من الممكن ادخال نوع من التعليم يمكن استثماره لمصلحة الناس .

كل واحد من هذه الاقتراحات يجب ان تقوم به هيئة او جماعة رسمية كانت ام خاصة فهل للهيئات ان تدرس هذا الامر درسا دقيقا ،



وتوزع العمل بينها .

ان الامر ليس منة وكرما منا ولكنه واجب لا يجوز لنا ان نتخلى عنه.

« ابو رائد »

اقوال مأثورة

- لا نستطيع ان نسيطر على الطبيعة الا بطاعتها .
- والمعجزات اذا كانت هي السيطرة على الطبيعة — فهي اذا اظهر ما تكون في ايام الشدة والبلاء .
- ما دام لك رأس فدع الحوادث تمر من تحت قدمك .
- ان غربت الشمس اليوم فستشرق غداً ، والحياة لم تنته بعد .
- الناس بخير ما تعاونوا .
- فضيلة الرخاء هي الاعتدال وفضيلة الشدة هي الصبر والعزم الجليد ، وهي في مراتب الاخلاق اسمى واشبه بالبطولة .
- ما خلى الرخاء قط من محاذر ومشنوءات ، ولا خلت الشدة قط من سلوة ورجاء .

المطر ، ويجف الزرع ، ويحرق الكلا ، وتنقطع الينابيع . فترى الناس والحيوانات ترفع رؤوسها الى السماء مترجية شاكية، ولكن لا رجاء ولا أمل .

ولماذا يحدث هذا التغلب ؟ ان هذه المنطقة الانتقالية تقع بين مهب ريحين . والرياح ، مع وجود حدود لها ، لا تنقيد بهذه الحدود تماما ، فتعدو حيناً على جارتها ، فاذا عد الرياح السقي تسمى الرياح التجارية (الشمالية الشرقية) حملت معها كل هذا الشر الذي ذكرت .

— ٣ —

والناس ابناء بيئتهم ، وثقافتهم وحياتهم الفكرية هي جماع هذا

التأثير المتبادل بين البيئة الطبيعية والحياة . وهذا التاريخ الطويل للتأثير المتبادل في هذه الربوع اوجد هناك جيلا من الناس له صفات خاصة به . ولعل أبرز هذه الصفات الصبر والإيمان وما يتبع ذلك من قوة النفس التي تصبر وتؤمن .

انهم يعرفون ان هذا الامر يقع ولكنهم يتحملونه ، ويدركون شدته ، ولكنهم يصبرون عليه ويصمدون له ؟ وهم واثقون في قرارة نفوسهم ان من حق الذي يجني الخير من ارضه سنوات ، أن يتحمل الشر سنة او سنتين ، والا كان عاقا كافرا بالنعمة .

وهذا الإيمان بحق الارض التي تكرم سنينا عديدة ، ان تبخل سنة واحدة ، هو الذي يملأ نفوسهم قوة على امرين : تحمل المكروه ، والمحافظة على الارض . فهو رحل عنها ليحصل على الكلا ، ولكنه يرحل الى حين . فاذا ضمن

لدوابه الغذاء ، واذا اطمأن الى لقمة يسد بها جوعه ، عاد الى ارضه والابتسامة تعلو ثغره ، لان قلبه يملأه الحب لارضه .

— ٤ —

وما هو حق هذا المؤمن بربه ، المحافظ على ارضه ، علينا نحن اهله وعشيرته وقبيله ؟ جميل منا ان ننظم القصائد في وصف حاله ، وجميل منا ان نكتب المقالات في تعاليل ما يصيبه ، وجميل منا ان نشاركه شعوره وآلامه . ولكن جذير بنا ان نخطو خطوة اخرى لاسعافه .

ان الحكومة تقدمت ، بعد لأي ، الى اسعافه ببضعة آلاف من الجنيهات ، ولعلها تسرع في التنفيذ ، ولعلها تفكر في المزيد من هذا النوع من العون .

وباب الاكتاب فتح ليتقدم كل بما تجود به النفس ، والنفس في هذا البلد كريمة . ولكنني ادعو اخواني في هذا البلد الى ان يمتنع كل واحد عن الاكل يوما كاملا ، ثم يرسل ما يتوفر عنده تبرعا للمنكوبين .



أحمد برقأوي

غزة معين بسيسو

حين طلب مني الصديق محمد منصور أن أكتب عن غزة، تراءى لي مباشرة الشاعر الفلسطيني- الغزاوي معين بسيسو بروحه المتمردة وشعره الغاضب، وانتمائه الثوري في اللحظة الأجل في تاريخ الثورة الفلسطينية. بل وراحت بي الذكرى وهو يلقي قصيدته الشهيرة :الصمت موت من على مدرج جامعة دمشق وكنت حينها طالباً جامعياً في السنة الثانية كان هذا في عام 1971

الفلسطيني عند معين بسيسو هو أوزوريس، وأوزوريس هذا قتله "ست" رمز الشر في الأسطورة المصرية، وقطعه إرباً وألقاه في النيل، لكن حورس الذي قرر أن يأخذ بثأر أبيه انتصر على الموت وبعث الحياة في أوزوريس إلى الأبد "إنهم يقولون عنك يا أوزوريس ولو أنك ترحل إلا أنك تعود ثانية ولو أنك تنام إلا أنك تستيقظ ثانية ولو أنك تموت إلا أنك تبعث مرة أخرى قف...

حتى يمكنك أن تسمع ما فعله حوريس لأهلك.. إن حوريس يجمع لك أضلاعك حتى يلم شمل أجزائك دون نقص فيك يا أوزوريس انهض...

إن حوريس يحبك "والحق إن القيامة من الموت وعي شامي بالحياة، وتتردد عن أكثر شعراء الشام، ولا تنفصل عن قيامة المسيح من بين الأموات. إن شعبي العملاق في القمم مثلي وفوقه الليل بحر ويعاني الذي أعاني وهل يفرح نسر وفي السلاسل نسر! وهو لا بد حاطم قيده الأسود يوماً والنصر يتلوه نصر فإذا الصرخة الكبيرة تدوي وإذا العالم المقيد حرّ

وشاعر المقاومة هو شاعر الأمل، شاعر التمرد الوجودي، التمرد الكلي، تمرد على الوضع الإنساني، وروح غزة وفلسطين والشام كلها حاضرة في روح الأمل والتمرد عند شعرائنا الراحلين، من عمر أبو ريشه إلى معين بسيسو مروراً بنزار قباني.

ما زالت صرخات معين بسيسو الشعرية المعبرة عن روحه، المتحدة بروح غزة، تردد وكأنها صرخات ضد هذا الزمان.

ولو مزقنا سياط الطغاة
ولو أشعلوا النار في جسمنا
نعم لن نموت.

إن روح الفينيقي هذه هي روح كل متمرد في الشام من غزة إلى حلب. ترى لو أن أحداً قد قرأ هذا النص الآتي دون أن يعرف بأن قائله معين بسيسو الذي رحل عن عالمنا عام 1984 فإنه سيتصور بأنه نص ينتمي إلى هذه اللحظة المعيشة من تاريخ غزة الراهن:

البحر يحكي للنجوم حكاية الوطن السجين
والليل كالشاحذ يطرق بالدموع وبالآنين
أبواب غزة وهي مغلقة علي الشعب الحزين
فيحرك الأحياء ناموا فوق أنقاض السنين
وكأنهم قبر تدق عليه أيدي النابشين
وتكاد أنوار الصباح تطل من فرط العذاب
وتطارد الليل الذي مازال موفور الشباب
لكنه ما حان موعدها وما حان الذهاب
المارد الجبار غطى رأسه العالي التراب
كالبحر غطاء الضباب وليس يقتله الضباب
"قد أقسموا والشمس ترخي فوقهم حمر الضفائر
أن يطردوا من أرضنا الخضراء تجار المقابر
ويحرروا الإنسان من قيد المذابح والمجازر
ويحرروا التاريخ من قلم المغامر والمقامر"
لا شك عندي بأن الشعر العظيم لمو تجريد فلسفي جمالي آخاذ، ولهذا فإنه يظل مترابطاً مع تعينات الواقع المنتمية إلى هذا التجريد الجمالي، ولهذا أيضاً يظل شعراً لأجيال كثيرة تنتمي لأزمان متعددة.

لماذا حضر بسيسو؟
لأنه يعكس في حياته روح غزة ليس في ذلك الزمان فحسب، وإنما في كل زمان.
الصمت موت... والنطق موت
فالقول ليس ما يقوله السلطان والأمير
وليس تلك الضحكة التي يبيعها المهرج الكبير للمهرج الصغير
فأنت إن صمت مت
وأنت إن نطقت مت
قلها ومت.

كأن معين أراد أن يقول: أن يصمت مثقف صمتاً كلياً في لحظات التحولات الكبرى واختلاف المواقف بين قوى الصراع بين قوى الشر وقوى الحياة الكريمة فهذا لعمرى أسوأ ألف مرة من الانحياز العلني إلى قوى الطغيان، لأن مثقف الطغيان أعلن عن ذاته بكل وضوح، أما المثقف الصامت دون أي إعلان ولو كان الإعلان بلغة التورية، فإنه يريد أن يحتفظ برضا الطرفين.

إنها لصورة من صور الانتهازية الرخيصة. بل إن مثقف الصمت هو في أعماقه مثقف منحاز للشر.
في تلك المرحلة من التاريخ كان مفهوم المقاومة متطابقاً مع ماهيته، لأنه يدل على واقعه الحق، فالمقاومة الحقّة خلقت يومها شعر المقاومة، وهي التي أصبحت صفة كثير من شعراء فلسطين في الداخل والشتات.

لكن معين بسيسو المولود سنة 1928 عاش تجربة الكفاح الفلسطيني في غزة مبكراً وكان شاعراً لائياً على الدوام. وما زالت صرخاته الشعرية المعبرة عن روحه المتحدة بروح غزة تردد وكأنها صرخات ضد هذا الزمان.
نعم لن نموت،
نعم وسوف نحيا
ولوأد القيد من عظامنا

اعرف وطنك
أيها العربي



الريشة التي ولد فيها الإمام الشافعي

قام بتصوير
هذا الاستطلاع
« اوسكار »

وإني لمشتاق إلى غزة
وإن خائني بعد التفريق
كتماني
سقى الله أرضاً لو
ظفرت بترجمها
كلت به من شدة الشوق
أجفاني

الإمام الشافعي

خريطة فلسطين الشهيدة بعد أن
احتلتها المصائب الصهيونية ولم
يبق للعرب منها غير الجزء الملون
باللون الأحمر ، الضفة الغربية ،
وقطاع غزة .. وقد كتب عليها عبارة
« اننا عائدون » الشعار الذي يردده
ابناء فلسطين المشردون .



أ - غزة في التاريخ

بقلم: مصطفى مراد الدباغ

غزة في عهد الإغريق والرومان

وكانت غزة في العهدين اليوناني والروماني من المدن التي تدرس فيها آداب اليونان وثقافتهم، والمشهور أن مدارسها في القرون الأولى للميلاد كانت ممتازة في تعليم الفلسفة وفي تدريس البلاغة والفصاحة والخطابة. حتى قيل إنه كان يقصدها طلاب من بلاد اليونان للتعلم فيها، وإن بلاد الفرس كثيراً ما كانت تستعير أساتذتها من معاهدها. وقد تقدمت غزة في عهد الرومان في صناعة الفخار والحريز والخمور. فاشتهر الخمر الغزي في الغرب والشرق، فكانت خمورها تحمل إلى (سوق مخنة) قرب مكة قبل الإسلام فيشيد بذكرها الشعراء. وأما في الغرب فلم تكن لتخلو موائد أغنياء فرنسا في القرون الأولى للميلاد من نبذ غزة الفاخر.

غزة والفتح العربي

وقد عرف الكثير من الصحابة قبل الفتح العربي الإسلامي، كأبي سفيان وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وغيرهم غزة. إذ إن أنظار تجار قريش كانت تتجه إليها في رحلتهم الصيفية إلى الشام، فكان الروم يقيمون فيها سوقاً كانت قريش تحضره وتختار منه. وتوفي فيها أثناء رحلته التجارية الجد الثاني للنبي الكريم، ولذا نسبت إليه ودعيت بغزة هاشم. كما أنها بعد ذلك رأت طلعة حفيده عبد الله الذي أعده الله لأكرم أبوة عرفها التاريخ.

إن انتصار العرب في "الغمر" من وادي عربة، وفي (دائن - الدميثة) الواقعة شرقي دير البلح، مكّن العرب المسلمين من دخول غزة فكان ذلك في نهار الجمعة 4 شباط 643م بقيادة عمرو بن العاص.

غزة في عهد الصليبيين

سقطت غزة في أيدي الصليبيين في رجب عام 205 هـ - 1109 م، إلا أنها عادت لأصحابها بعد معركة حطين المشهورة عام 583 هـ، 1187 م. واستشهد فيها إبان تلك الحروب الأمير شجاع الدين عثمان بن علكان، والمرجّح أن حي الشجاعية فيها، بهذا الاسم يعود إلى استشهاد هذا المجاهد فيه.

وبعد النكبة العظيمة التي حدثت بسقوط بغداد عام 658 هـ 258 م بعد هجوم هولاكو، استطاعت جيوش التتر التقدم في البلاد العربية حتى وصلت إلى غزة ودخلتها عام 1260 م، إلا أن القائد المشهور (الظاهر بيبرس) تمكن في تلك السنة من أن يلحق بالمغيرين هزيمة منكرة، فكانت أولى المعارك التي استطاعت

بالرغم من

جميع المصائب التي حلت

بها سبب موقعها، كان لوقوع

غزة على البحر أهمية تجارية

كبرى، فإن قوافل المعنيين

العربية اليمنية،

كانت تحمل خيرات الهند

ومحصولات أفريقيا الشرقية

وبلاد العرب، من جنوب

الجزيرة العربية براً إلى

البتراء فغزة

أنظار تجار قريش كانت

تتجه إليها في رحلتهم

الصيفية إلى الشام، فكان

الروم يقيمون فيها سوقاً

كانت قريش في تحضره

وتختار منه

تعد غزة من أقدم مدن العالم، وقد بناها الكنعانيون الذين نزلوا من الجزيرة العربية، ونزلوا فلسطين والساحل الشامي، في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد. وذكرهم مؤرخو العرب بين الأمم العربية البائدة.

معني كلمة غزة

وهناك أقوال مختلفة قيلت في معنى كلمة "غزة" فياقوت الحموي يقول: "غَزَّ فلان بفلان واغترز به إذا اختصه من بين أصحابه" وآخرون يرون أنها كلمة كنعانية بمعنى "القوي".

غارات وحروب

ولما أغار سكان فلسطين القدماء، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، على ساحل فلسطين الجنوبي، استوطنوا غزة واختلطوا بأهلها، وكانت أولى مدنهم الخمس، وأقصاها جنوباً.

تقع غزة على حافة الأراضي الخصبة والمياه العذبة، التي تأتي مباشرة بعد صحراء سيناء، فهي المحطة الطبيعية للقادمين من مصر ووجهتهم الشام، والمحطة الأخيرة لكل آت من الشام ووجهته مصر. ومركزها الطبيعي هذا جعلها ممراً للغزاة فانتابتها ويلات كثيرة من هجمات الفاتحين. وقد وصفها نابليون بأنها "مقدمة جيش أفريقيا وباب آسيا".

كانت غزة مركزاً للتجارة عظيماً إلا أن غزة بالرغم من جميع المصائب التي حلت بها بسبب موقعها المذكور، كان لوقوعها على البحر أهمية تجارية كبرى، فإن قوافل المعنيين العربية اليمنية، كانت تحمل خيرات الهند ومحصولات أفريقيا الشرقية وبلاد العرب، من جنوب الجزيرة العربية براً إلى (البتراء) فغزة.

ومن غزة كانت تحمل الخيرات المذكورة كالطيب والبخور واللبن والمر والذهب والتوابل واللؤلؤ وغيرها، إلى سائر شواطئ البحر الأبيض المتوسط. وقد كان لتجارة هذه السلع تأثير كبير على نمو غزة واتساعها وثراء أهلها.

ويرجح بعض المؤرخين بأن المعنيين هم الذين أسسوها، أو أنهم على الأقل ساعدوا في نموها وازدهارها. وبسبب هذه العلاقة التجارية نزل غزة وجوارها قسم كبير من الجاليات العربية المختلفة، فوجد الفرس في غارتهم على فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد العرب في غزة وأطرافها، وكذلك لقي منهم الاسكندر المقدوني في عام 332 ق.م، الأهوال حين حصاره لغزة. ويقول بلوتارخ إنها كانت أعظم مدينة في بر الشام، لما استولى عليها الفاتح المذكور.



هذا هو المكان الذي يؤكد أهالي غزة أن
(شمشون الجبار) مدفون فيه . من بين ما يؤكد
الأحالي أن (دليلة) - قاهرة شمشون كانت غزاوية.

غزة في الحرب العالمية الأولى

وفي الحرب العالمية الأولى، أجبر البريطانيون في الساعة السابعة من مساء يوم 7 تشرين الثاني 1918م، الفيلق الثاني التابع للجيش العثماني على الجلاء عن غزة، ودخلوها فوجدوها بعد المعارك الدامية التي حدثت بينهم وبين العثمانيين، قاعاً صفصفاً خالية من الجنود والسكان. فقد حمل العثمانيون سكانها على الرحيل معهم بعد أن هدمت نيران البريطانيون مبانيها ومنازلها؛ فتشتت الغزيون تحت كل كوكب. وبعد أن كان عددهم يزيد على (42) ألف نسمة قبل الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، أضحوا في عام 1922 (17500) نسمة، فتدهورت حركة البلد التجارية، وتضاءلت حياتها الاقتصادية وهبطت إلى الحضيض. ولم يعمل البريطانيون الذين امتد حكمهم حتى يوم 15 أيار 1948 أي شيء للأخذ بيدها، ولمساعدتها على النهوض من كبوتها.

جامع غزة الكبير

ومن آثار غزة جامعها الكبير، وهو من المساجد الكبرى في فلسطين. ضخم البناء، كبير القيمة الأثرية، جميل الشكل والهندسة، يحتوي على عدة سلاسل من العقود الحجرية، وكانت حوله مدارس عديدة. وقد بني على الكنيسة التي شيدها الصليبيون بعد احتلالهم لغزة. ويقال إنها أقيمت مكان معبد (داجون) الوثني الذي أقامه الفلسطينيون القدماء. وهكذا فالغزيون قدسوا هذه البقعة على اختلاف مللهم ودياناتهم منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة.

بساتين غزة

وتحيط بغزة البساتين النضرة التي تعد من أخصب ما عرف في فلسطين من نوعها، وفي هذه البساتين تنمو الفاكهة من برتقال ومشمش وجميز وتوت وزيتون وعنب وموز وغيرها، كما يزرع في أراضيها الحبوب والقطاني والخضر. وقد كانت مستودعات غزة مخزناً لشعير بئر السبع الذي كان يشحن من مينائها. وبهذه المناسبة نذكر أن مساحة الديار الغزية - قضاء غزة - إبان الحكم البريطاني بلغت 1,111 كيلومتراً مربعاً وسكانها في نهاية عام 1944 (137,180) نسمة، يقطنون (54) قرية وثلاث مدن: غزة والمجدل وخان يونس، وقد بلغ عدد ما كان يملكه اليهود من الأراضي في القضاء المذكور نهاية عام 1944 (49,100) دونم أو ما يعادل 4,4% من مساحة القضاء جميعه.

العالم الفقيه

أحمد بن عبد الله العامري
الغزي هو أول من استوطن
دمشق من عائلة الغزي
المعروف فيها .

وتعرف هذه العائلة اليوم في
غزة باسم النخالة، وتنسب إلى
عامر بن لؤي من قریش

حمل العثمانيون سكانها على
الرحيل معهم بعد أن هدمت
نيران البريطانيون مبانيها
ومنازلها؛ فتشتت الغزيون
تحت كل كوكب. وبعد أن كان
عددهم يزيد على (42) ألف
نسمة قبل الحرب العالمية
الأولى أضحوا في عام 1922
(17500) نسمة

فيها جيوش عربية أن تقضي على جيش مغولي. فمعركة غزة وإن كانت صغيرة، ولكنها أولى المعارك التي أيقظت الوطن العربي وبثت فيه الثقة بإمكان الصمود أمام القوى التاتارية الضخمة، فكانت مقدمة لمعركة عين جالوت الفاصلة التي انتهت بانتصار العرب، واندحار التتار .

من غزة كان رجال مشاهير نوابغ

وقد ولد في غزة رجال عظام من علماء وفقهاء وشعراء ووزراء وصالحين. وكفى غزة فخراً أن قد ولد بها الإمام الشافعي (150-204) هـ. وقد كان نادرة في الذكاء ومعجزة في الحفظ وعظمة الأخلاق. ونسبه يتصل مع رسول الله في (عبد مناف) وكان قد أتى والده إدريس إلى غزة، واتخذها مقراً له ومات فيها. ومن الغزيين الشاعر إبراهيم بن عثمان الكلبي الأشمهي (441-524) والعالم الفقيه أحمد بن عبد الله العامري الغزي (770-822) هـ. وهو أول من استوطن دمشق من عائلة الغزي المعروف فيها. وتعرف هذه العائلة اليوم في غزة باسم النخالة، وتنسب إلى عامر بن لؤي من قریش، وإلى العامريين هؤلاء ينسب حي بن عامر في غزة. وممن اشتهر من مواليد غزة الملك المؤيد أحمد ابن الملك الأشهر الأشرف إينال، من رجال القرن التاسع الهجري، وهو الثالث عشر من ملوك المماليك الجركسية. وشمس الدين أبو العون محمد الغزي الفاروقي، شيخ الطريقة القادرية بالملكة الإسلامية، من سلالة عمر بن الخطاب، وهو جد آل الخيري والتاجي وأبو المدي في الرملة ويافا وعكا.

وينسب إليها أيضاً أحمد رضوان، حاكمها المتوفى عام 1051 هـ. تولى إمارة الحج سنين عديدة. عرف بشجاعته ورجاحة عقله وبحبه للعلم وتكريمه للعلماء، ومازال لليوم في غزة بقية قليلة جداً من أحفاده. ومن رجالها حسين باشا مكى، من رجال القرن الثاني عشر الهجري، وقد عهد إليه بولاية الشام، وعائلة (مكى) الغزية هي ثاني العائلات الشامية التي حصلت على لقب باشا من آل عثمان. والمحدث الشهير أحمد المؤقت المتوفى عام 1171 هـ، نزح أجداده من المغرب في القرن التاسع الهجري ونزلوا غزة، وبقياتهم اليوم في بيت المقدس، وتعتبر عائلة (المؤقت) من عائلات القدس العريقة. ومحمد الرئيس وكان طبيباً حاذقاً ذاع اسمه في سوريا ومصر 1130 هـ، وعائلة الرئيس في غزة من عائلاتها الوجيعة. ومحمد باشا أبو مرق، من عائلة أبو مرق الغزية من رجال القرن الثالث عشر الهجري، وكان قد تولى ولاية غزة - يافا وغيرهم كثيرون.



السوق في غزة يكاد يكون محصوراً في شارع واحد ، هو شارع عمر المختار وهو لا يختلف عن السوق في أي بلد عربي . متاجر مختلفة الأحجام والدرجات والسلع ، وأخرى متنقلة ، على قارعة الطريق ، تراها كل يوم في مكان .

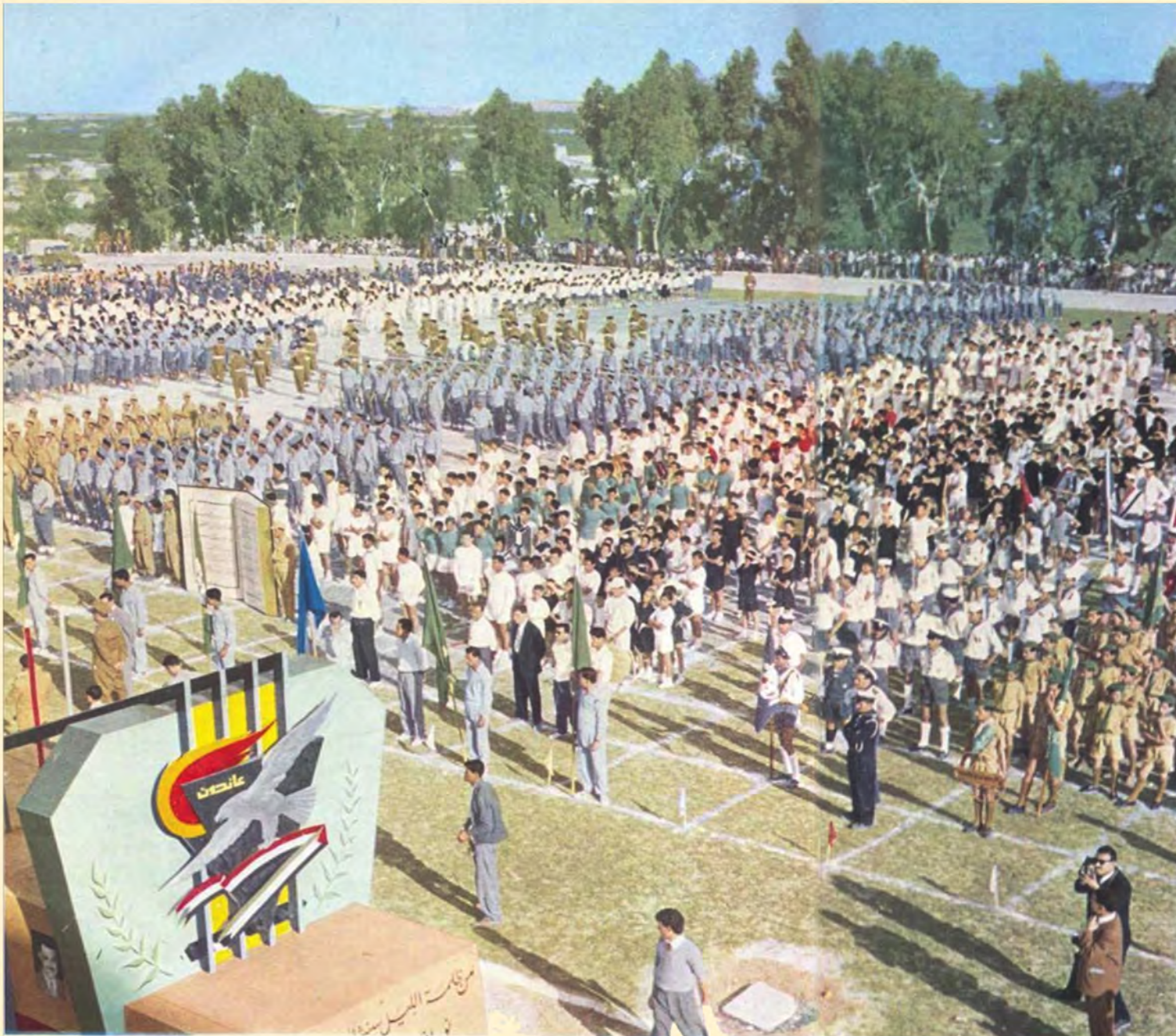


ان « بيارات » البرتقال في غزة هي المورد الرئيسي للثروة في القطاع .. انها تدر أكثر من مليون جنيه استرليني كل عام .. وقد أعدت الإدارة المركزية مشروعاً لمضاعفة انتاج الحمضيات في القطاع



من أشهر الأشياء التي لا ينساها من يزور غزة، الحلوى الشامية التي اشتهرت بها ، والتي يشهرون منها كل زائر بتذكارات لا ينسى

زهرات غزة ، يشتركن في العرض الكبير ببرنامج رياضي حافل بالحركات الإيقاعية



في ذكرى انسحاب اليهود بسلم محافظ بورسعيد شملة الى شاب رياضي يسافر بها الى غزة ليسلمها للتحكيم الإداري ، الذي يضعها أمام المنصة الرئيسية ، حولها الشباب الفلسطيني .



الاستعراض الكبير

في الساحة الكبرى لمدرسة الرموك ، أكبر مدارس غزة مساحة ، اصطف هذا الحشد الهائل من شباب غزة وطلبتها وأعضاء الفرق الرياضية والكشافة ، بأعلامهم وملابسهم الرياضية ، أثناء الاستعراض الكبير الذي يقام كل عام في ذكرى عيد النصر ويشترك فيه الشعب كله على اختلاف طوائفه وهيئاته .

غزة ... بالأرقام

- كان في قطاع غزة في العام الماضي خمس مستشفيات في مدينة غزة والمستشفى السادس بخان يونس .
- كما كان به ١٨ مدرسة حكومية ابتدائية و ٩ مدارس ثانوية و ٤ معاهد للمعلمين والمعلمات . ومدرستان تجاريتان . ومدرسة زراعية .
- كان مجموع الطلبة في مدارس الحكومة ٢٥٨١٦ تلميذا .
- ومجموع الطلبة الجامعيين ١١٩٣ طالبا .
- في قطاع غزة ٨. مدرسة ابتدائية تشرف عليها هيئة اغاثة اللاجئين بها حوالي ٧٤٩٥٢ تلميذا .
- مساحة الأرض المزروعة في غزة ٤٦ ألف دونم تنتج نحو مليون جنيه سنويا .
- ١٣٢ ألف دولار انفقت لإنشاء أول مصنع لتدريج الموالح بغزة واعدادها للتصدير .
- يبلغ عدد اللاجئين في قطاع غزة ٢٤٥٣٤٣ موزعين على معسكرات اللاجئين الثمانية .



الجندي المجهول

تمثال الجندي المجهول ، وقد اقيم امام مبنى المجلس التشريعي .. وهو يمثل جنديا ونحته خريطة فلسطين ، وقد نقشت على قاعدته الآية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا »

ليس في غزة ميناء . ان البواخر التي تحمل البضائع تقف في عرض البحر حيث يذهب اليها المراكب والزوار والحمالون فينقلون البضائع الى الشاطئ



صناعة السجاد والأحزمة

من أشهر الصناعات اليدوية في غزة صناعة السجاد و « الأكلمة » و « الأحزمة » الصوفية المصنوعة من وبر الجمال والماعز . انها صناعة منتشرة في أماكن كثيرة من القطاع .

حي الرمال في غزة كما بدا عام 1962 (العربي القديم)

2- غزة الحاضرة

بقلم: رجاء مكاوي

الأزهر، الطلبة الذين يخرجون من حجراتهم وفي أيديهم كتبهم، يقرؤونها بصوت مرتفع وهم يروحون ويجيئون، حتى إذا أقيمت صلاة المغرب دخل الجميع للصلاة، ويتناولون عشاءهم وما تكاد تنتهي صلاة العشاء، حتى يكون كل طالب في حجرته لينام. وسيشيرون لك إلى مسجد آخر مشهور... المسجد العمري الذي بني في عهد عمر بن الخطاب. ومسجد ثالث أحدث اسمه مسجد الشافعي، وهو باسم الإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي ولد في غزة، ومنها رحل إلى مصر.

صناعات أهل غزة

وغزة - كما يقول مدير بلديتها الحاج منير الرئيس - تقوم الآن من بقية بلاد فلسطين، مقام الأخ الأكبر للأخوة الصغار الذين فقدوا والدهم، فقد فتحت ذراعيها واحتضنت (246) ألفاً من اللاجئين من البلاد التي ضربها اليهود، وشرّدوا أهلها، ويبلغ هذا العدد أضعاف ما كان فيها أصلاً.

وغزة لا تملك صناعات بالمعنى المفهوم، وإن كانت تقوم فيها صناعة النسيج على أكتاف المهاجرين من أهل المجدل، وصناعة الصابون تقوم على أكتاف المهاجرين من أهل نابلس المشهورين بصناعة الصابون النابلسي. ثم صناعة السجائر والتبّاك، وتأتي بعد ذلك صناعة الفخار والحلوى والزيتون. ويحترف بعض الأهالي صيد السمك والزراعة.

وأهم ما يزرعونه الموالح بصفة خاصة والفواكه عموماً. ومن أغلب بيارات غزة تستطيع أن تطل على المعسكرات الإسرائيلية القريبة.

ماذا تصدر غزة؟

وبيارات غزة تنتج الحمضيات بوفرة. والبيارة - في لغة أهل غزة - هي بستان الفاكهة، وأغلب إنتاج غزة من البرتقال والموالح يصدر للخارج، ولهذا تباع البرتقالة الواحدة بقرش صاغ في غزة التي تنتج الملايين من ثمار البرتقال. والبلح واللوز الأخضر والمشمش تزرع بوفرة، ولكنها لا تصدر منه إلا القليل، وتحفظ بالباقي لغذائها.

السمك

يعتبر السمك بالنسبة لغزة ثروة صحية واقتصادية، فإن آلافاً يرتزقون من صيده وبيعه، والعمل في القوارب المعدة لصيده، وكذلك يشتريه الأهالي لرخصه.

ولا يقل ثمن ما يستخرج سنوياً من شواطئ غزة من السمك عن نحو 35 ألف جنيه، وتباع كل الكمية محلياً. والغريب أنني رأيت كثيراً

تقوم غزة من بقية بلاد فلسطين، مقام الأخ الأكبر للأخوة الصغار الذين فقدوا والدهم، فقد فتحت ذراعيها واحتضنت (246) ألفاً من اللاجئين من البلاد التي ضربها اليهود، وشرّدوا أهلها.

أغلب شوارع غزة مسماة بأسماء الشهداء، وأهمها جميعاً شارع عمر المختار.

صناعة الصابون تقوم على أكتاف المهاجرين من أهل نابلس المشهورين بصناعة الصابون النابلسي.

إن عراقية فلسطين وماضيها الخالد وحاضرها البائس ومستقبلها المشرق المرموق بإذن الله، كل أولئك يتجمع في غزة، تلك المدينة الجريحة المكافحة، التي تحارب بيد، وتداري جراحها باليد الأخرى حتى لا يشمت فيها الأعداء والحساد. وتمشي في شوارع غزة، فيلفت نظرك أن العمود الفقري للمدينة شارع واحد اسمه (شارع عمر المختار)، وأغلب شوارع غزة مسماة بأسماء الشهداء، وأهمها جميعاً شارع عمر المختار. إن به سراي الحاكم، والمجلس التشريعي، والمتاجر والمحلات العامة، والمباني الحديثة، وينتهي بشارع غزة على ساحل البحر، حيث الفندق السياحي الكبير (الأندلس).

وتمضي في سيرك فيذهلك أنك تسير في مدينة عامرة بالآثار، ولكنها آثار مهملة. فهناك يرقد شمشون الجبار. شمشون الذي حطم الهيكل على أعدائه ومات معهم وهو يقول قولته التاريخية: "علي وعلى أعدائي يارب"!

وهنا مرض هاشم بن عبد مناف جد الرسول الكريم، وهو في الطريق من الشام مع إحدى القوافل العربية، فتتركه القافلة في غزة كي يستريح ولكنه يموت بعد أيام. وهنا تقوم الحجرة التي نام فيها نابليون بونابرت، وهو في طريقه إلى عكا بعد أن قاومته غزة مقاومة الأبطال. وهكذا... ما يكاد يخلو شارع من شوارع غزة، من أثر تاريخي له قيمته. ولكن مع هذه الآثار للأسف، قد فقدت قيمتها مع الزمن، وسحبت عليها الأيام ستار الغموض أو النسيان.

إن شمشون ذلك الطاغية الجبار الذي تروي الكتب المقدسة والكتب التاريخية قصته، يوقد في قبر حجير. تسأل عن اسم صاحبه فيقولون لك إنه قبر ولي الله الشيخ أبو العزم! ذلك أن أحد الأفاكين وضع فوقه عمامة، وقال إنه أحد أولياء الله الصالحين! أما المعبد الذي هدمه شمشون فقد أقيمت على أنقاضه مدرسة أطلق عليها اسم هاشم بن عبد مناف. وأما قبر هاشم بن عبد مناف، فهو في داخل المسجد الذي بناه أهل غزة، ونقلوا إليه رفات جد الرسول، الذي تنسب إليه المدينة كلها لأنهم يسمونها "غزة هاشم".

مسجد عمر بن الخطاب

وقد تحول هذا المسجد الآن إلى معهد ديني تابع للجامع الأزهر. ويستعمل طلبة (معهد غزة الديني) الوافدون من خان يونس ورفح، الحجرات الاثنتين والعشرين التي تحيط بصحن المسجد للإقامة، وترى هناك نفس المنظر الذي تجده في صحن الجامع

يمكن، لأن القطار الذي يصل إلى القاهرة من غزة، يقطع الطريق في عشر ساعات، وهذا يعرض الفاكهة للتلف. وقد قامت فعلا عدة أبحاث ودراسات بقصد إنشاء ميناء في غزة، وقد تبين أن شاطئها يصلح لإقامة ميناء كبير، يسمح بدخول أكبر السفن، واتضح أن قاع البحر يساعد على تحقيق الغرض.

وقامت بلدية غزة بعدة مشروعات هامة في القطاع، فأنشأت محطة ضخمة لتوليد الكهرباء، وأخرى لتنظيم المجاري ومرافق المياه. وأخذت تنفذ مشروعات رصف الشوارع، وبدأت بشوارع عمر المختار الذي يخترق غزة من أولها لآخرها، وبعض الشوارع المتفرعة منه.

كانافات من صنع اللاجئين!

وهناك سيدة تعتبر من معالم غزة. اسمها مدام رينيه، وهي فلسطينية من أهالي غزة، تدير الآن مشغلا للكانافات، تشرف عليه وكالة غوث اللاجئين بهيئة الأمم المتحدة. وتجمع مدام رينيه الفلاحات، تعلمهم شغل الكانافات على الطريقة الحديثة. والمعروف أن العربيات الفلسطينيات على دراية واسعة بهذا النوع من التطريز. ونساء المجدل بصفة خاصة كن يحكن فساتين بهذه الطريقة، وإذا بيع فستان من فساتين فلاحات المجدل، فإن ثمنه لا يقل بحال من الأحوال عن خمسين جنيهًا كاملة!

ومدام رينيه تدير هذا المشغل لحسابها منذ 8 سنوات، ثم وضعت وكالة الغوث تحت إشرافها، وفتحت سبعة فروع غير المركز الرئيسي، وتتعلم في هذه المراكز 560 بنتاً من اللاجئين، ويتم تعليم نحو 15 فتاة شهرياً، ثم يأخذن خامات يعملن بها طلبات الزبائن في منازلهن ولهن أجر حسب الإنتاج.

وتبيع هذه المراكز شهرياً ما قيمته من 1000 إلى 1800 جنيه، وأغلب الزبائن من رجال البوليس الدولي الذي يملأ جنوده قطاع غزة. ونذهب إلى مدام رينيه في طلب مفرش مثل أو شال، فتعطيك موعداً بعد شهر أو أكثر! إن العمل كثير، والزبائن ليس لهم إلا الانتظار.

لقد عرفت هذه السيدة الذكية كيف تستطيع أن تستفيد من مواهبها ومواهب اللاجئين، فربحت من وراء ذلك الكثير.

صيف غزة

وبرغم اعتداءات اليهود، ورغم التوتر الذي تعيش قسوته غزة، فإن جوها الطبيعي منعش جداً. وأشجار البرقوق والتفاح والمواالح تطل على الشاطئ. وفوق التلال المتناثرة هنا وهناك، كبائن وشاليهات وعشش كلها خيال وشعر وأحلام. وربما كانت غزة أرخص مصيف في العالم. فالديوك الرومية والدجاج والحمام كثيرة، والفستق واللوز والجوز كلها رخيصة.

وبلاج غزة ينفرد بالتلال المرتفعة التي تطل على الشاطئ، وفوقها بنيت الكبائن التي تصلها بالبحر سلالم من الحجر الأحمر. وليست هناك أية قيود أو قوانين على البلاج. كل شيء ممكن، ولكن التقاليد وحدها هي التي تحكم البلاج، وروح المحافظة هي التي تسود الصيف هناك.

وعلى بلاج غزة تتناثر البيارات وهي حدائق المواالح والفاكهة، وتستطيع أن تقضي يومك كله في إحدى البيارات. والبحر في غزة هادئ أغلب الأيام، لأنه يلتقي بشاطئ غزة في خليج لا يسمح للأمواج أن ترتفع.

ولولا أن اليهود في إسرائيل على بعد خطوات من بيارات غزة... ولولا منظر البوليس الدولي الذي يوحى بحالة الحرب ولولا وجوه اللاجئين ونظراتهم الحائرة نحو المستقبل المجهول...

لولا هذا لقننا بلا تحفظ، إن غزة هي أجمل وأرخص مصيف في العالم كله.



كل بنت في غزة تتعلم كيف تشتغل (الكانافاه) .. المغارش والقوط والتابلوهات وحتى الملابس العادية التي يلبسها الفلاحون فيها شغل (كانافاه) .. لقد أنشأ بعض سيدات غزة مشاغل تباع « الأطقم » بأسعار غالية .

رأيت كثيراً من النساء يعملن في صيد السمك ووزنه وبيعه، مما ليس له نظير في أي بلد عربي آخر.

تبلغ نسبة التعليم في غزة 74,5% وهي نسبة كبيرة جداً إذا قيست بالمنطقة العربية.

قطار القاهرة يصل غزة حوالي الساعة الخامسة بعد ظهر كل يوم، حاملاً صحف الجمهورية العربية المتحدة. ويجتمع الأهالي على رصيف القطار ليتلقفوا الصحف، ويستقبلوا القادمين

من النساء يعملن في صيد السمك ووزنه وبيعه، مما ليس له نظير في أي بلد عربي آخر.

شعب لا يموت

وأكثر من هذا. رأيت النساء يعملن في البناء. يحملن الطوب والحجارة على أكتافهن ويصعدن على الأخشاب لينتقلن إلى الدور العليا، فيفرغن حمولاتهن، ويعدن ليملائن أوعيتهن من جديد. وهذا معناه أن هذه الأمة لا يمكن أن تموت... فروح العمل كامنة في نساها اللاني هنّ على استعداد لأن يقمن بأشق الأعمال.

قطار القاهرة

والذي رأى غزة من خمس سنوات فقط، لا بد أن يكون قد آمن أن هذا الشعب خلق ليعيش؛ فقد أعيد بناء القرية الصغيرة وتضاعفت بيوتها، وامتدت رقعة الأرض المسكونة والمزروعة أصعاف ما كانت عليه.

وأنشئت المدارس في كل مكان يمكن أن تقوم فيه مدرسة، وتبلغ نسبة التعليم في غزة 74,5% وهي نسبة كبيرة جداً إذا قيست بالمنطقة العربية.

القطار العجيب

والقاهرة التي تلفت النظر في حياة مدينة غزة، وبقية مدن القطاع، هي قطار القاهرة الذي يصل غزة حوالي الساعة الخامسة بعد ظهر كل يوم، حاملاً صحف الجمهورية العربية المتحدة.

ويجتمع الأهالي على رصيف القطار ليتلقفوا الصحف، ويستقبلوا القادمين. ويدب النشاط في المدينة بعد الظهر بسبب قدوم القطار.

ف فريق يرشد القادمين إلى الفنادق القليلة الموجودة في المدينة وأهمها (ضيافة الوليد)، وفريق يحمل البضائع والبريد. وفريق ثالث يعد العدة لشحن البضائع التي تسافر من غزة يومياً في نفس القطار، حينما يغادرها في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي.

ميناء غزة

وعدم وجود وسيلة أخرى للمواصلات غير هذا القطار يضايق سكان غزة. وقد طالبوا بإنشاء ميناء في غزة يكون معداً لرسو البواخر عليه، وحمل البضائع إلى خارج القطاع بأسرع ما



فواز حداد

غزة كمقاربة للحدث السوري

سكان غزة، تمهيدا لتهجير قادم لسكان الضفة الغربية، وهو ما قام به الرئيس الحاقق خلال سنوات الثورة والحرب من تهجير للسوريين، بلغ ما يزيد عن سبعة ملايين، فالإسرائيليون مع أنهم لم يفعلوا جديدا، اقتفوا أثر نظام مجاور لهم، أعلن عن هدفه في سورية مفيدة، لا تضم إلا الموالين له، كذلك إسرائيل أعلنت عن إسرائيل دولة يهودية، إذا كان للفلسطينيين وجود فيها، فمواطنون من الدرجة الثانية، تمهيدا لدولة صافية بلا فلسطينيين. لم يكن أحدهما أقل كفاءة من الآخر في التنافس على إحراز تقدم أكبر في استئصال ما يعيق تحقيق أهدافهما.

تفوقت عائلة الأسد على نتائجها وأمثاله، وسبقتهما دائما بخطوة أو خطوات، فلا يجب أخذ النكبة التي ارتكبها الهاغانا وإرهابيو أرغون وشتيرن، باقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، على أنها تفوق يحسب لهم لاحتلال أرض بالقوة، ما دام الرئيس الخالد احتل سورية بكلفة أقل بانقلابات واغتيالات وتسريحات، وإعدامات، وسجون ومناقب. وكانت النتيجة واحدة، وإن اختلفت الوسائل الإجرامية. أما الدرس الذي يتمنى حكام إسرائيل تقليده، فهو التخلص من الأسرى الفلسطينيين الذي يبلغ عددهم نحو خمسة آلاف، وهم أحد اسباب عملية "طوفان الأقصى". مع أن خطوات تنفيذه أصبحت معروفة خطوة بخطوة، يكفي إقدام ضابط مع سريتين من الجنود المسلحين على اقتحام السجون وإطلاق الرصاص على المساجين العزل حتى الموت، فعلها في سورية ضابط مجرم يدعى رفعت الأسد، هو الأخ الشقيق للرئيس الخالد، أرسل سريتين من سرايا الدفاع وأطلقوا النار على خمسمائة سجين أعزل حتى الموت.

لن تواجه إسرائيل سوى معضلة واحدة في حال قررت الاقتداء به، هي قصة القرايات ليجري التسامح مع الضابط الذي سيأخذ على عاتقه هذه العملية، ثم مكافأته بعدة مئات من ملايين الدولارات. هذا قد يحدث في إسرائيل، والذرائع متوافرة، حسب الأسلوب الشائع في الغرب، فالضابط المجرم الذي سينفذ العملية، يمكن تبرئته والتسامح معه، لأنه كالمعتاد مجنون مختل العقل، المهم ليس إرهابيا، فالإرهاب لا يطال إلا المسلمين.

ليس من المستغرب، أن إسرائيل ترتكب أفظع الجرائم وتعتبر الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، بينما المستغرب أن جرائم النظام السوري لا تقل عن جاره، فلماذا يعتبر نظاما دكتاتوريا؟ هذا ما أشعر الرئيس السوري بالغبن، وهو في ذلك على حق، العدالة مفتقدة حتى بين المجرمين.

تعيد مشاهد الدمار الهائلة في غزة إلى الأذهان مشاهد مماثلة في أرجاء المدن والأرياف السورية، الإسرائيليون لم يستثنوا المستشفيات والمخيمات، ومثلهم تماما في سورية شمل القصف المستشفيات والمستوصفات والأفران والأسواق، وكما يجري في غزة من استهداف للمدنيين، كذلك في سورية لم يوفر الأهل بالذات، باعتبارهم حواضن للإرهاب، الأميركي والغرب يشاركون إسرائيل في القتل والتدمير، مثلما شاركت روسيا وإيران وحزب الله، في القتل والتدمير، وكأن غزة تقع في الداخل السوري.

لن نعود إلى الذاكرة للمقارنة بين الخراب الحاصل في غزة والذي مازال مستمرا دونما توقف، والخراب الذي حصل في سورية، فشواهد ما زالت على الأرض على امتداد الجغرافيا السورية، عدا أنه لم يتوقف، ما زال الشمال يقصف حتى هذه اللحظة وأكثر ما يصيب النازحين في الخيام.

مشهد الدمار في غزة امتداد للدمار السوري، وكأن هذا من ذلك، ولا فارق كبير، فالنظام يقتل شعبه ويطرده من أرضه، بينما الإسرائيليون يقتلون شعبا بعدما سرقوا أرضه، ويريدون سرقة ما تبقى. يتصرف كلاهما من معين واحد، الحق في النهب. وكما يتشارك في الوسائل القمعية، يتشارك في المفاهيم نفسها، ففي طبيعة العلاقة بينهما غير المرئية، كأن كلا منهما يستعين بالآخر، ويجد سنده بما أنجزه من جرائم، إنهما واحد في اثنين.

أعطى الرئيس الخالد مثالا في حماة على الإبادة في القضاء على تمرد قادته الطليعة الإسلامية، فحاصر المدينة وقطع عنها أي اتصال بالعالم، مع قطع الكهرباء والماء، لم يكتف بقتل المسلحين، كان الأكثر ضرورة إعطاء درس، ليس لأهل حماة فقط، بل للسوريين جميعا، بمجزرة وحشية بلغ عدد الضحايا خمسة وعشرين ألفا. عدا الذين اقتادهم إلى سجن تدمر، وقتل غالبيتهم بمحاكمات ميدانية، أما الباقون فقتلوا في الجحيم سنوات طويلة تحت التعذيب والموت. هذا المثال استعان به الإسرائيليون في حصار غزة، فالرئيس الخالد استن ما بات يدعى تحت عنوان عريض "قواعد حماة"، زعم الإسرائيليون أنهم أخذوه من مجزرة حماة، كأن تاريخهم في فلسطين، لم يكن تاريخا من المجازر، وإذا كانوا قد اقتدوا بالرئيس الخالد فبموجب أن العرب لا يفهمون إلا بهذه الوسيلة، فاستخدمها الإسرائيليون لجذواها، مجرد أنها نسخة عن الأصل.

المرحلة التي تليها، سيكون دليلهم إليها الرئيس الابن، بتقديم المبرر العملي لتهجير



محيي الدين اللدقاني

أهلك بكم إلى مقبرة الأطفال هنا غزة

من القصص المشهورة في أدبيات السبعينات، ولطالما أضطروا للدفاع عن ذلك الموقف، أما أميل حبيبي الذي تحدى "ديماغوجيا" تلك المرحلة، وطلب أن يكتب على قبره "باق في حيفا"، فكان يرى أن ذلك هو الموقف الطبيعي الوطني والإنساني، وما نحن اليوم، مع نكبات التهجير القسري المتتالية في سوريا وفلسطين، ندرك جذرية ذلك الموقف المشرف الذي جعلتنا أزمنا التضليل الإعلامي، للأنظمة التي تتاجر بقضية فلسطين، نعتبره الموقف الخاطي، مع أنه الموقف الأصح، في مسار النضال الوطني لأي شعب.

وكنتم أظن لعمر مديد أنني لا أعرف شعبا معجونا بفلسطين، كالشعب السوري، ثم أتت حقبة خلط الأوراق، خلال الثورة السورية، فصرنا نشك بكل شيء خصوصا بعد ما شهدناه من ارتكابات أوغاد جماعة أحمد جبريل، وجيش التحرير الفلسطيني بحق ثوار سوريا.

صحيح أننا رأينا تدمير مخيم اليرموك بأمر أعيننا عقوبة، لمن شاركنا من الفلسطينيين في حلم الحرية والكرامة، وصحيح أننا رأينا حفرة التضامن تضم السوريين والفلسطينيين معاً، لكن المواقف السياسية لعرب أوسلو أبي مازن، وبعض الفصائل الفلسطينية ظلت تنكأ جرحا عميقا يأتي أن يندمل، وذاكرة مجروحة لا تريد أن تنسى.

وتأتي حرب غزة الأخيرة، فنجد أنفسنا، دون طويل تفكير في قلبها، وأجدني قبل كل شيء في الثامن من أكتوبر - تشرين الأول 2023، ومع أول قصف يطال المدينة أبحث عن حساب الدكتور فوزي الحاج، في مواقع التواصل، لأطمئن عليه، وعلى أسرته، وأكتب له بعجالة: "كيف أنت أيها الفتى، عسى أن تكون بخير، أو شبه خير أنت والأسرة الكريمة؟".

وليس من عادة فوزي أن يتأخر في الرد بنكتة، أو بيت من الشعر الذي يحفظ منه الكثير، لكنه هذه المرة لم يرد، رغم مضي ثلاثة أسابيع على تلك الرسالة القصيرة، ولا أدري حتى الساعة، هل هو حي، فأهنيه وأواسيه، أم هو شهيد، فأحسده وأرثيه؟.

في سوريا وفلسطين فقط تسوّى الطائرات بيوت المدنيين العزل بالأرض، كي يضيع من تحت الردم، ويتعذر الإحصاء، فلا يدري العالم عدد الضحايا، ولا كم من الأطفال بينهم...

وها هو المتحدث الرسمي لليونيسيف يقول صباح اليوم - آخر يوم في أكتوبر - وأنا أضع اللمسات الأخيرة على هذا المقال: إن غزة صارت مقبرة للأطفال، فهل أنت، وبعض أحفادك يا فوزي بينهم؟... تلحخ يا صديقي... رد على الإيميل يا رجل.

ولنا، ونحن لا نعرف التفريق بين سوريا وفلسطين، وتبيننا تسمية "سوريا الكبرى"، لتظل فلسطين في موقع القلب من جغرافيتنا، وليظل عز الدين القسام الاسم الأملح في تاريخنا الحديث.

لكن قبل التاريخ والجغرافيا كان الفلسطينيون بيننا، في كل قرية وبلدة ومخيم، وكان نصيبهم منهم قبيلة من نبلاء الروح، أولهم ابن قريتي زميل المدرسة الابتدائية رشاد الكرمي ابن العائلة التي اشتهرت عربياً في القرن الماضي، من خلال برنامج ثقافي في الراديو العربي، لهيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي.

وفي مرحلة الدراسات العليا وضعتني الصدف، مع أرق، وأنبه فلسطيني عرفته، وهو فوزي الحاج صاحب النكتة اللامحة، والذكاء المتقدم. كنت أظنه مثلي لن ينفع في السلك الأكاديمي الذي يحتاج، إلى الكثير من الرصانة، وتصنع الجديدة، لكنه خيب ظني، وصار أكاديمياً لامعاً بأبحاثه المبتكرة، وتم اختياره عميداً لكلية الآداب، في جامعة الأزهر في غزة.

أما الأديب الذي عرفني على الروح الفلسطينية الحقيقية، فهو الكاتب الراحل أميل حبيبي صاحب رواية "الوقائع الغربية في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل"، وكنت قد انتقدته انتقاداً مرأً هو وسامح القاسم في مقالات لي بكتاب "عكس التيار... مشاغبات ثقافية معاصرة"، لكن ما إن عرفني عليه الصديق المشترك، والمتقّف المغربي الكبير محمد بن عيسى في منزله ذات صيف، في إحدى مهرجانات أصيلة، حتى تعانقنا كأصدقاء قدامى، وما لبث أن شدني من يدي بعنف، واتحيننا عن زحام المثقفين جانباً، وسألني ضاحكاً: "بس بدي أعرف كيف عرفت أنو عندي مركب في حيفا".

وكان هذا المركب في قلب الانتقادات التي كنا نوجهها لأميل حبيبي، وتقوم على فرضية أن الشيوعي بروليتاري معتز لا يملك شيئاً، وليس من المعقول أن يمتلك حماراً، فما بالك بقارب ضخم في البحر الأبيض المتوسط! وما زلت أضحك لليوم، وأنا أتذكر الطريقة التي وصف بها أميل حبيبي ذلك اليوم قاربه المخّلع الصغير الذي بالكاد يشغل، وبما فوق الكاد كان يجد له المازوت، ونحن اعتبرناه، دون التأكد من تفاصيله "يختاً"، وتهمة تقتضي القصاص من مرتكبها.

أيامها كان فريق منا، نحن "المثقفين السوريين المعتزين" يعتبر البقاء في فلسطين المحتلة تحت سلطة الإسرائيليين، جريمة أكبر، من جريمة امتلاك شيوعي لقارب، وحكاية انتقاد سامح القاسم، ومحمود درويش بعنف وفضاظة، حين خرجا تحت العلم الإسرائيلي، في مهرجانات دولية

صحيفة شهرية تعنى بالتاريخ السوري والعربي
وتستعيد ذاكرة الصحافة العابرة للأجيال

رئيس التحرير

محمد منصور

مدير التحرير

عبد الرحمن عمري

سكرتير التحرير

رامي زين الدين

تدقيق لغوي

حسام الدين الفرا

إدارة سوشيال ميديا

فايز النعيمي

المستشار الفني

نبيل مراد

* الإزاء الواردة في الصحيفة سواء من المقالات
القديم أو المقالات المكتوبة خصيصاً لـ "العربي
القديم" تعبر عن توجهات ورأي إدارة تحريرها
* إيميل التحرير: mansoursham@gmail.com
* واتساب التحرير والإعلان: 00905368116000



كاريكاتير ناجي العلي (1982)



غزة
التي يتاجر
بألمها
الجناء

عبد الرحمن عمري

على مدار سنوات الثورة السورية، كان عنف قوات النظام يتغول، كلما طالب رئيس غربي أو المجتمع الدولي، بالكف عن قصف المدن والبلدات السورية، والحفاظ على أرواح المدنيين!

خطوط أوباما الحمراء، لاءات الأنظمة العربية وغير العربية، مناشدات المنظمات الدولية وغير الدولية! كلما أدانت جهة ما القصف، ارتفعت وتيرته وارتفع عدد الضحايا؛ في حالة تشعر المراقب أن عمليات النظام السوري كلها كانت نكابة، وهذا ما يحصل اليوم، رغم أنه لم يعد أحد يطالب بإنقاذ حياة السوريين، فكلما قصفت إسرائيل مطار دمشق أو حلب، أو أي مستنقع ترتع فيه الميليشيات الإيرانية، تسارع قوات الأسد والطيران الروسي لقصف إدلب! أصبحنا نفتقد أيام الاحتفاظ بحق الرد. وبينما يواجه أهل غزة وحدهم، وسط صمت قريب، ودعم البعيد، نيران الاحتلال الإسرائيلي وهمجته. تناطح ميليشيا حزب الله أحد أبراج المراقبة في جنوب لبنان، وتستعرض إيران جيوشها وجوشها في اليمن والعراق، ويصبح بوتين حمامة سلام قلقة على المدنيين، والصين تتحول لمنظمة هيومان رايتس ووتش، وكل الذين صمتوا على قتل المدنيين والأبرياء في سوريا، يركبون موجة النضال، ويذرفون دموع التماسيح على أطفال غزة.. هؤلاء الصغار الذين يلمع القتل على حسابهم تاريخهم الموعّل بالعنف والإجرام.

لك الله يا غزة، فأنت كما قال الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش: "إن سألوكم عن غزة قل لهم بها شهيد، يسعفه شهيد، ويصوره شهيد، ويودعه شهيد، ويصلي عليه شهيد". وأنا سأضيف: "ويتاجر به الجناء". نعم للأسف، يتاجرون بدماء الأبرياء، ليمسحوا عن أيديهم دماء الأبرياء، تلك الدماء الذكية التي سفكها محور الممانعة في طريقه إلى القدس، عبر حلب، وكل المدن والبلدات السورية، دون أن يصل وجهته!

كنت أشاهد الأم الفلسطينية، وهي تصف ابنتها يوسف لطاقم الإسعاف في إحدى مشافي القطاع الوحيد: "عمرو سيع سنين، شعره كيرلي، أبيضاني وحلو!" قالتها، وصوتها يرتجف، خوفاً من إجابة كانت تعرفها مسبقاً.. لقد أصبح طيراً من طيور الجنة. وتذكرت مشهد الأطفال في غوطة دمشق، بعد أن قصفهم الأسد بالسلح الكيماوي قبل سنوات، وأطفال إدلب اليوم، الذين ترفرف أرواحهم إلى بارئها، بينما القتلة يتباكون على يوسف وغزة.. لن تلوثوا طهر غزة، فهي منكم براء.

رئيس الوزراء المستقيل سابقاً، نفتالي بينيت، اعتبر أن "إسرائيل تعيش واحدة من أصعب لحظات الانحطاط التي عرفتتها على الإطلاق، محذراً أن الدولة تواجه خطر السقوط والانهييار، بسبب عدم الانسجام بين مكوناتها من جهة، ومن جهة أخرى وجود اليمين المتطرف الآخذ في التوسع".

وزير الدفاع السابق، بيني غانتس، اعتبر أن أخطر أسباب الانهييار "تعاظم الثقل الديمغرافي لفلسطيني الداخل، وتشبثهم بالهوية الوطنية"، بينما يظهر رئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو أكثر تفاؤلاً، بإعطاء وعد غير مؤكد أنه "سيجتهد، لأن تبلغ إسرائيل المئة عام، لكن هذا ليس بديهياً حسب التاريخ"، وتنتيهاو نفسه، كان ذلك، قبل يوم 7 أكتوبر، حيث لن يستمر بعده، لعام واحد بأغلب التوقعات.

يدرك الإسرائيلي مكان الانهييار، يعمل قدر استطاعته بئأس، على تداركه. الوقت يمضي، كل صاروخ، أو معركة يعني اللعب بعدّاد العمر، في مقابل صمود فلسطيني مذل، صمود لا قيمة للوقت فيه، عذاب المجازر هو ذاته عذاب النصر، بكل وجعه، نصر الحنكة، وإدراك اللحظات الفارقة، نصر التمسك بالحليف الحقيقي، والنوايا الصادقة، هل يشك إنسان بقيمة فلسطين، عند أي عربي، بكل انقساماتهم، ومستوياتهم القيادية والشعبية؟ وهل يملك العرب مجتمعين القدرة على مجابهة قوى الغرب، ومن خلفهم أميركا اليوم؟!

الحرب، كما السياسة فن الممكن، الفلسطيني الإنسان السياسي والمثقف بحاجة دائماً لزاويته الأوسع، مقاربة الحكمة التي انتشر بها، على كل الصعد انتشاراً نشهده الآن في الساحات الحقيقية والافتراضية.

فلسطين الجغرافيا والارض، بحاجة إلى عمق سوري، عراقي، لبناني متماسك، مصر بكل "كدعنتها"، خليج يزداد قوة وازدهاراً، والمغرب العربي الواسع بطاقاته ووعيه، كل الطرق هنا تؤدي إلى فلسطين، الطرق الأخرى مجرد سراب ووهم، حتى لو بدت حقيقة، من يصادر كل المشاريع والجبهات لا مشروع له غير الاحتكار، من يحتكر يتاجر، يبيع، ويشترى، الضوء الباهر يغمي، هناك في العتمة، تكمن الحقائق، وتحت جبال النار، الكثير، إن لم تشاهده الأعين تدركه العقول.

من لديه Manifesto جاهز لطريق الخلاص، غير التخطيط الإستراتيجي العاقل والمتأنى ليأتي به. لفيلسوف القوة، الألماني فريدريك نيتشه، حكمة بديهية تقول: "الضربة التي لا تقتلك تجعلك أقوى"; الشرط العميق ألا تقتل سياسياً، وعسكرياً وعاطفياً.

إسرائيل اليوم في "مصيصة ثيوسيديديز" TRAP Thucydides وثيوسيديديز هو مؤرخ الحضارة اليونانية القديمة الذي أرخ للحرب بين أثينا العقل، وإسبرطة التجنيد العسكري الهائل. هي مصيدة الزمن والجنون، "تكلكوش"، الطرق إلى فلسطين، كثيرة، بعدد السالكين.

صديق العمر وتسردية زوال إسرائيل



بقلم: همام البني

في عرس صديق العمر في الشارقة، كنت ممسكاً بكتف والده القادم من الوطن، أنهينا عراضتنا الشهيرة: "حمص العدية فيك سباع وميماس وخالد سيف الله... حمص العروبة فيك رجال.. أمضى سيوف سيوف الشام.. بأرض السويدا جتنا الخيل.. يا عمي خيلا جسورا ما تهكلا هم".

مع اقترابنا أكثر كان صوت المجوز، أو اليرغول الفلسطيني يبدو أكثر وضوحاً. العروس سيدة فلسطينية من الجيل الرابع، أصبحت على الباب، متجهين إلى القاعة مباشرة. اختفت كل الأصوات، إلا صوت المجوز، وأغنية "وين ع رام الله وين ع رام الله.. ولقي يا مسافر.. وين ع رام الله ما تخاف من الله.. كويت قليبى ما تخاف من الله.. عد الخيل وبالله.. خيل من رام الله" شدتني صلة الخيول الخفية، نظر إلي عمي أبو حازم ضاحكاً، مع اختفاء العريس داخل القاعة، قلت له: "تكلكش"، كلمة السر الغزائية الشهيرة.

عند الفلسطيني الخارطة واضحة، أبناء فلسطين ليسوا أبناء الحياة، هم أبناء الوطن، دفعوا ما عليهم مرة واحدة، ما جرى بعدها يدخل بحسابات الربح.

في سبعينيات القرن الماضي، إسرائيل بعنفوان التأسيس والانتصار، حاولت التخلص من 300 ألف غزأوي، اليوم تواجه مليونين و 300 ألف في المساحة نفسها، مع جدران عزل مهذمة، ودولة بلا هوية.

كل كهول فلسطين أميتهم واحدة، مشاهدة التحرير قبل الموت؛ الشباب أكثر يقيناً أنهم سيكونون حاضرين، لا شكوك، أو هواجس، العقلية الجمعية الفلسطينية والعربية الشعبية، بطبيعة الحال مجتمعة على أنها مسألة وقت فقط، متى؟

السردية على الضفة الأخرى مفاجئة، إذا لم نقل صادمة، رغم التمدد الجيوسياسي في المنطقة والعالم، رغم الاتفاقيات والانحلاف، وامتلاك أقوى الجيوش، لا حديث في الأوساط الإسرائيلية، الفكرية، السياسية والعسكرية، إلا حول زمن الزوال، ونهاية الدولة، أول المبشرين المعاصرين، وأكثرهم تفنيدياً لشروط البقاء، المتناقضة، رئيس الوزراء الأسبق، إيهود باراك، الذي كشف عن مخاوفه من قرب الزوال، قبل حلول الذكرى الـ 80 لتأسيس إسرائيل، مستشهداً أنه: "في التاريخ اليهودي لم تعمّر دولة أكثر من 80 سنة، إلا في فترتين، فترة الملك داود، وفترة الحشمونائيم، وكلتا الفترتين كانتا بداية تفككهما في العقد الثامن"، إذا نحن في نصف العقد الأخير.

من الضرورة التاريخية التنويه إلى الخديعة الكبرى التي تعرض لها مقاتلو حماس، من قبل من ادعوا الممانعة ووحدة الساحات، بعد أخذ إيران وحزب الله وما تبقى لسوريا من قرار، وضع المزهريات، إلا من بعض مفرقات بجنوبي لبنان!



حماس

من الألف حتى الآن

عدنان عبد الرزاق

مع الاحتلال، كحرب عام 2001، وحرب عام 2008، وحرب 2021، تأتي بكل مرة على تدمير القطاع، وقتل الآلاف من الفلسطينيين، في حين يتطور بروز حماس، حرباً تلو الأخرى، كند لا يستهان به، خاصة بعد مرحلة تطوير الأسلحة والصواريخ التي تجلّت بحرب 2021، قبل أن تكسر ظهر إسرائيل، وتبدّد هيبة الجيش الذي لا يقهر، بحرب أكتوبر عام 2023.

نماية القول: لا يستوي أي قول، قبل أن تضع الحرب على غزّة اليوم أوزارها، رغم عظيم ما يقال عن بطولات المقاومين الفلسطينيين، وتمريضهم الغطوسة والاستقواء الإسرائيلي بالوحل، أو ما ظهر، ومنذ السابع من أكتوبر 2023، من دخول واشنطن الحرب، وليس دعمها وتمويلها، كما في السابق، وانحياز العالم الديمقراطي بومته، إثر تحطيم "رجال القسام" دفاعات وأسوار، وجدار العدو الذي دفعت له الولايات المتحدة أكثر من 13 مليار دولار، لتحمي نجمتها الواحدة والخمسين، بعد أعظم عمل بطولي سطره العرب، بالشكل والطريقة والنتائج، وقلة الإمكانيات.

كما من الوجد الاستبائي الإشارة، إلى ضعف ودّل الحكام العرب، حتى بمدّ زهاء مليوني فلسطيني بغزّة، بأبسط إكسبير الحياة، من ماء وطعام ووقود، بعد إطباق الحصار، وهجمات الإبادة التي يشهدها ويشاهدها العالم بأسره.

وربما من الضرورة التاريخية بمكان التنويه إلى الخديعة الكبرى التي تعرض لها مقاتلو حماس، بل الحركة برمتها، ممن ادعوا الممانعة ووحدة الساحات، بعد أخذ إيران وحزب الله وما تبقى لسوريا من قرار، وضع المزهريات، إلا من بعض مفرقات بجنوبي لبنان، لم تعد قطرة من ماء وجوهم المسفوك على أعتاب الحقائق وساحات القتال. ولعل بما برّره، وادعاه أمين عام حزب الله، حسن نصر الله يوم الجمعة 4 تشرين الثاني بأول ظهور له، بعد نحو شهر من مقتلة غزّة وبطولة أهليها، كان الدليل الأبرز على المقاومة اللفظية، والفتوحات القولية التي أثار ذلك الحلف المزعوم اعتمادها، لتمير المشروع الفارسي، والنضال على المنابر، حتى آخر قطرة دم عربي.. إن لم نقل سني.

ما أشبه اليوم بالأمس القريب والأمس البعيد... القريب وقت حاول العراق التمرد على الحضيرة الدولية التي تقودها الولايات المتحدة، فأسس قواعد علمية وإنتاجية، بعد وقوفه كجبل من نار، أمام التمدد الفارسي وقهره بمعارك بتوريطه، قبل أن يشكل تحالفاً ضده عام 2003 لشن الحرب، بمعونة العرب لوجستياً بعد المشاركة عام 1991، ويقتل صبيحة عيد الاضحى 30 ديسمبر 2006. وتسلم العراق لإيران، ضمن صفقات كانت سرية ومستغربة، قبل أن تكشف أحداث الحاضر، عمق العلاقات الإستراتيجية بين الممانعة وشيائطينها الكبار والصغار. وأما الشبه البعيد، فهو ما حدث للحسين سبط رسول الله، عليه الصلاة والسلام بمعركة كربلاء، وقت تركه شيعته وأهله، بمقابلة جيش يزيد بن معاوية عام 680، لينتصر بدمه، ويكون بواقعة الطف وجعاً يستغله تاركوا الحسين زوراً، حتى الآن... كما المتوقع أن يستغلوا انتصارات دم أهل غزّة، على عالم الغرب الديمقراطي وإسرائيلهم، وتبعهم المتخاذلون من متتأقفين وحكام، عراهم الدم وأسقط وريقات التوت، عمّا تبقى من رجولة وكرامة وإنسانية.

بجنوبي لبنان عام 1992، على إثر أسر "حماس" الجندي الإسرائيلي، نسيم توليدانو وقتله، قبل أن تعود، وتمهداً للمواجهات، ويعود المبعدون، إثر تجدد التفاوض للسلام عامي 1993 و1994 لكن الهدوء ما لبث أن تبدّد، وتضاعفت المواجهات بمنحى جديد تجلّى بعلميات استشهادية، داخل أراضي الكيان، كما شهدت حافلات بالقدس، تبعتها تفجيرات بعسقلان، ثمّ بتل أبيب عام 1996، رداً على اغتيال إسرائيل قائد الجناح العسكري بالحركة "القسام" يحيى عياش.

بالتوازي مع بروز شوكة حماس، وتداول اسم الحركة كقوة ضاربة، حتى بعمق الاحتلال، تصاعد "عداء الأخوة" مع منظمة التحرير التي انتخبت مجلسها التشريعي عام 1996، من دون مشاركة "حماس" التي قاطعت الانتخابات، لأنها "تجري تحت سقف اتفاق أوسلو"، لترد منظمة التحرير "فتح" بملحقه كوادر حماس والتضييق عليهم، خاصة بالضفة الغربية، وتعتقل الناطق الرسمي باسم "حماس" عبد العزيز الرنتيسي، أحد أبرز المبعدين سابقاً إلى مرج الزهور.

ويمكننا اعتبار تاريخ الانتفاضة الثانية، أيلول عام 2000، بداية تحسن بين "فتح وحماس"، ليكون بتصعيد ما بعد أحداث سبتمبر أيلول العام التالي بنيويورك بالولايات المتحدة "تفجير مبنى التجارة العالمية" الضربة الموجعة لحماس، بعد استغلال الاحتلال الفرصة السانحة، ووصف حماس بالإرهابية، كما اليوم بعد هجوم 7 أكتوبر تماماً، لتبدأ تصفية القيادات البارزة من أمثال: جمال سليم، وجمال منصور، ومحمود أبو هنود، وصلاح شحادة، وإبراهيم مقادمة، وإسماعيل أبو شنب، وصولاً للاغتيال الذي ضجت به المنطقة والعالم فجر 22 آذار 2004، اغتيال الاحتلال للشيخ أحمد ياسين، وهو على كرسيه المتحرك، عندما خرج وسبعة من رفاقه من مسجد المجمع الإسلامي، في حي الصبرة في قطاع غزّة. وتالت الاغتيالات، لتطاول خليفة ياسين بقيادة حماس، عبد العزيز الرنتيسي. ورغم أن الاغتيالات، وتصفية القيادات الأبرز بحماس، سياسياً وعسكرياً، أوجعت الحركة، لكنها أثرت على حسن العلاقة مع "فتح"، ليكون بالانتخابات المحلية التي دعا إليها، رئيس منظمة تحرير فلسطين ياسر عرفات عام 2004 وتحقيقها نتائج بالصناديق، مرحلة جديدة، تلت وفاة، أو مقتل الزعيم الفلسطيني عرفات، وانتخاب محمود عباس في تشرين الثاني 2004 رئيساً للسلطة ومنظمة التحرير، وما سمي بعد ذاك، بيانات القاهرة بالامتناع عن العمل المسلح، ومحاولات دمج "حماس والجهد" بمنظمة التحرير، لتأتي فرقة الأخوة، خلال انتخابات المجلس التشريعي عام 2006، كانون الثاني، وقت فازت حركة حماس بأغلبية مقاعد المجلس، وما سبقه من جلاء الاحتلال عن قطاع غزّة في أيلول 2005، لتري حماس نفسها ويراها جلّ الفلسطينيين تمسك بإمام الأمور، ليس بالقطاع فقط، بل بما بعده.

هنا، من الجدير ذكره رغم الوجد، أن "فتح وحماس" اصطدمتا، عبر صراع مسلح لنحو عامين، حتى عام 2007، وقت أعلنت الحركة سيطرتها الكاملة على قطاع غزّة، وجرى كما هو معروف انقسام إداري وسياسي، بين الضفة الغربية وقطاع غزّة، ليمرّ القطاع بعد مفاوضات لم الشمل بين حماس وفتح، بعواصم عربية عدة فشلت تماماً عام 2020، بحروب

كفاح مسلح، لاستعادة كامل الأرض المحتلة، لتحمي كينونتها الناشئة، حتى من منظمة التحرير، وبعض دول الإقليم التي أقرّت بخرائط عام 1967.

بيد أن التحول الأبرز بتأسيس "الحركة" تنامي، إبان انتفاضة 1987، وقت رأت "الجماعة" ضرورة الانتقال من الإسلام الوعظي أو التقليدي، إلى الإسلام الكفاحي أو الجهادي، فكان تاريخ 9 أكتوبر من ذلك العام، موعد تأسيس الحركة، بقيادة أحمد ياسين، إلى جانب ستة من قادة الجماعة، ليأتي الإعلان في 14 أكتوبر، الإعلان الرسمي عن الاسم والإستراتيجية "الجهاد المسلح ضد الاحتلال"، من خلال أول بيان وزّعه جماعة الإخوان المسلمين باسم "حركة المقاومة الإسلامية - حماس".

ولم تبق "حماس" حبيسة غزّة طويلاً، بل في العام التالي، 1988 وفي شهر كانون الثاني، تمددت إلى الضفة الغربية، عبر تنظيم ومأسسة، ومقررات "اعتماد مجلس شورى عام، لينتخب الهيئة السياسية" منافسة "منظمة التحرير" ومتلقفة الاهتمام والجهادية والاستقطاب، خاصة بعد عملياتها العسكرية وقتذاك، وتغيير اسم الجناح العسكري، من "المجاهدون الفلسطينيون" بقيادة صلاح شحادة، إلى "كتائب عز الدين القسام" عام 1990 بقيادات لم تزل بالذواكر حتى اليوم، من أمثال: بشير حماد، وعماد عقل، ويحيى عياش، ومحمد الضيف.

لم تخف "حماس" مذ ولادتها أنها فرع، أو امتداد لجماعة الإخوان المسلمين، بل أكدت في آب عام 1988، خلال ميثاقها الذي حدّد منطلقات الحركة وأهدافها، أنها جناح من أجنحة الجماعة بفلسطين، معتبرة أرض فلسطين، كل فلسطين، أرض وقف إسلامي، على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها، أو بجزء منها، وأن تحرير فلسطين هو فرض عين على كل مسلم، حيثما كان، رافضة عروض منظمة التحرير، بالانضمام إلى المجلس الوطني الفلسطيني عام 1988 ورافضة الحلول السياسية، ومبادرة السلام الفلسطينية التي خرجت بذلك العام، رافعة شعار "صراع وجود، لا صراع حدود" عام 1991، ساحة الشرعية عن أي وفد فلسطيني يشارك بعملية السلام، بل أصدرت إلى جانب تسع فصائل بياناً يدعو قيادة منظمة التحرير إلى التراجع، عن قرارها المشاركة في مؤتمر مدريد "الهدف إلى تصفية قضيتنا وبيت المقدس"، ثم عارضت بشدة اتفاقية أوسلو، وقدرت على لسان الشيخ أحمد ياسين، أن الذين وقعوا "الاعتراف بدولة إسرائيل" سلّموا بذلك "بكل ما اغتصبته من أرضنا، وتراثنا ومقدساتنا وحضارتنا". وربما بذلك الموقف، وعدم الاعتراف بعملية السلام، كحلّ وحيد، لاستعادة المغتصبات، بداية للتحويل للعمل المسلح، إذ ساهم اعتقال الاحتلال الإسرائيلي للمؤسس أحمد ياسين عام 1989، والحكم بسجنه مدى الحياة، قبل أن يتم الإفراج عن "ياسين" بصفقة تبادل بين إسرائيل والأردن التي سلّمت تل أبيب اثنين من "الموساد" حاولوا اغتيال رئيس المكتب السياسي وقتذاك، خالد مشعل، عبر حقنه بمادة سميّة، بقصة شمييرة ومعروفة، والأرجح لم يغيب عن الذاكرة بعد، إبعاد 415 ناشطاً وقيادياً من حركة حماس، وحركة الجهاد الإسلامي، إلى "مرج الزهور"

كل ما يجري، وفي منطقة الشرق الأوسط تحديداً، عصيّ على الفهم والتحليل والمنطق، وإن كان مرده الأعم، للاستقواء والهيمنة وربط حكام المنطقة بطرائق عمالة بمستويات متباينة، منعاً لأي التقاء وحدوي، أو شكل تكتلي، يحيل هذه المنطقة الغنية بثرواتها ورأسمالها البشري والمكنة على إرث، ورباط روحي مؤثر، إلى قوة مهيمنة. هذا إن لم نرجع تفسير الجنون الحاصل، للسهولة والهروب من توضيح ما يجري، إلى المؤامرة المرسومة، على الأقل، منذ مخطط موشيه شاريت، وبين غوريون، ومخطط برنارد لويس الذي اعتمده الكونغرس عام 1983. ليكون منطلق تفتيت المنطقة "العالم الإسلامي العربي" إلى دويلات، وتحويل جهة وشكل الصراع، إلى بيني وديني مذهبي، وهو ما أتفق لاحقاً على تسميته "الشرق الأوسط الجديد" وفق وزيرة الخارجية الأمريكية، كوندوليزا رايس عام 2006.

بيد أن ما حصل منذ السابع من أكتوبر لعام 2023، بدا أنه، وبأبسط الألفاظ، تمرد على المرسوم، وخروج على أي حسبة وصندوق، حتى وإن ألبسناه حلّة "نظرية المؤامرة"، على أنه استمرار للتفتيت، وإعادة رسم الجغرافيا المتفق عليها، وإن بأكلاف كبيرة، وأثمان باهظة للأطراف جميعها.

ببساطة، لأن تحطيم "الأساطير الصهيونية" من جيش لا يقهر، وتفوق لا يجارى، وأمان لا تمسّ حماه، بات، بعد الصفقة الحمساوية الأليمة أكاذيب، من الصعب ترميمها، أو إعادة ترميزها، كحامل لمشاريع كثيرة بالمنطقة، إن بدأت بحلم التوسع، وفق مخطط شاريت، وبين غوريون، لا تنتهي عند سلام الاستقواء، ودفع العرب، فرادى، للمرولة صوب تل أبيب، لنيل شرف توقيع اتفاقات الرضوخ والاستسلام.

قصارى القول: خرجت حماس، وبجناحها العسكري "القسام" خاصة، عن سرب المنطقة الذي استمرّ معظمه الموان، أو ربط مصيره بأقطاب دولية، أو ربما ملّ الدوران في حلقة "النضال والتحرير" بزمن لم يعد بأجدياته مكاناً للحقوق والعدالة.

وحماس التي ولدت عملياً من رحم هزيمة حزيران 1967، ونشطت بقطاع غزّة، كفرع لجماعة الإخوان المسلمين، بعد التضييق المصري على الجماعة، قبل أن تأخذ اسمها كحركة مقاومة إسلامية، بقيادة، أحمد ياسين، والبد، بالتحضير لنواتها الأولى "المجمع الإسلامي" عام 1973 (عبارة عن جامع، وعيادة طبية، ورياض أطفال، ولجنة زكاة) لتتلاقى الانطلاقة جذباً وإقبالاً، في مجتمع مقموع، ومحاصر بالاحتلال، إقبلاً وقبولاً، خاصة بعد تصميم المؤسس ياسين على قوننة الحركة "كفرع لجماعة الإخوان"، والحصول على ترخيص من الاحتلال الإسرائيلي الذي يرى مراقبون أنه حاول تقوية شوكة الإسلاميين، لضربهم بمنظمة التحرير المزدهرة وقتذاك، بعد أن غصّ الاحتلال النظر عن تمدد الحركة إلى الضفة الغربية، وتأسيس الجامعات، والنوادي والمدارس. ومع التمدد والتهافت الشبابي، برزت نشاطات فرع الجماعة في غزّة وربما في الضفة، وخاصة في قطاع التعليم والتعليم العالي، كند للتمدّد العلماني الذي تنشره منظمة التحرير، ما خلق ملامح اصطدام تنبّت له "الجماعة"، وأعدت له وفق شعارها "حركة الجهاد الإسلامي" كخيار



غسان الملاح

حماس من المقاومة إلى الدولية

تمثل السلطة الفلسطينية، وبين حركة حماس، للسيطرة على غزة، ومنذ ذلك الوقت خرجت السلطة الفلسطينية، وبقيت السيطرة الكاملة، داخل غزة لحركة حماس، ومعها منظمة الجهاد الإسلامي، رغم صغرهما التي تأسست وعملت كحزب الله، تحت راية ولاية الفقيه الإيراني. حركة حماس منذ تلك السيطرة الكاملة لها على غزة، بدأت بالاتجاه نحو إيران لتكون الداعم الأول لها من جهة، بالتوافق مع الدعم القطري المستمر، حتى اللحظة. منذ أن استتب الأمر لإيران كطرف يحكم غزة، وفقاً لنسبة قوته فيها، حتى وصلنا إلى لحظة فارقة هي أن إيران باتت الطرف الأكثر حضوراً في غزة، خاصة بعد تصنيف منظمة حماس كمجموعة إرهابية. هذا التصنيف الذي تم أميركياً عام 1997 حتى قبل أن تنسحب إسرائيل من غزة بثمانين سنوات.

منذ عام 2007، وحماس تحاول إرساء معالم دولة مؤقتة، أو دائمة، حيث لا تواصل مع السلطة الفلسطينية في رام الله، ولا محاولات جادة من أجل وحدة المنطقتين في دولة، وهذا ما تريده إسرائيل بالضبط. بات لدينا ثلاث مناطق تحيط بإسرائيل تتبع منهج الاحتراب، واللاسلم الذي طبقه الأسد، منذ اتفاقيات الفصل عام 1974 إثر حرب تشرين. الأسدية في سورية، وحزب الله في لبنان بعد عام 2006، وحركة حماس منذ عام 2009، حيث كانت هنالك حرب طاحنة، قامت إسرائيل بشن هذه الحرب، وقتلت من قتلت من سكان غزة، ودمرت ما دمرته. لكن يبقى الوضع في غزة مختلفاً عن الوضع في لبنان حزب الله، وعن الوضع مع سورية الأسد.

هذه العمليات التي تقوم بها حماس، وبعض فصائل المقاومة انطلاقاً من غزة، الغاية منها تحريك هذا الوضع الحصارى المستمر إلى حيث لا أفق.

غزة كانت حتى اللحظة عنواناً، عنواناً دائماً، مذ تقطعت فلسطين إلى ثلاثة مربعات عسكرية وأمنية، تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي، بحماية ودعم، وغطاء للقتل والتنكيل، والاقتلاع من قبل أمريكا، وأوروبا الغربية، وتواطؤ بقية دول العالم: المربع الأول هو إسرائيل، والثاني هو الضفة الغربية، والثالث هو غزة التي تعد المنطقة الأكثر كثافة سكانية.

منذ ذلك الوقت 1967 على إثر ما سمي نكسة حزيران، منذ ذلك التاريخ بقيت غزة مشكلة للسلطة المصرية من جهة، ومشكلة لإسرائيل وجيشها، قبل أن ينسحب منها، قبل ثمانية عشر عاماً، عندما أخلى الجيش الإسرائيلي مستوطناته المنتشرة فيها، وانسحب منها عام 2005، بعد 38 عاماً من احتلالها. كانت إسرائيل تنسحب من أول منطقة تحتلها من فلسطين. لم يسبق لإسرائيل أن انسحبت من منطقة ما من فلسطين. عرض ضمّ غزة لمصر السادات، من قبل إسرائيل وأمريكا، وتم رفض الاقتراح، من قبل السادات على إثر اتفاقيات كامب ديفيد 1978، بين مصر السادات، وإسرائيل، حيث انسحبت إسرائيل بعدها من كامل الأراضي المصرية التي كانت قد احتلتها عام 1967. صحيح أن الجيش الإسرائيلي انسحب من غزة، لكنه أبقى على إمدادات الحياة، من كهرباء، وماء وغاز، وطرق، ومعابر إلى غزة تحت سيطرته. يقطعها ويتحكم بها لحظة يشاء، كان آخر المطاف تحويل غزة إلى سجن عسكري حقيقي، بعد بناء ما سمي بالجدار العازل.

خلال 18 عاماً كان الجيش الإسرائيلي يعتدي على أهل غزة، كلما قامت إحدى الفصائل الفلسطينية بعملية ما. يدفع الأهالي ثمناً من جنون القصف الحربي الإسرائيلي، دون

مراعاة لأبسط قواعد الحروب في تحييد المدنيين، حيث شنت إسرائيل ثلاث حروب تدميرية على غزة، قبل هذه الحرب الدائرة الآن. في كل حرب يُقتل ويُجرح فيها مدنيون بالآلاف، وتُدمر بيوت يلجأ أصحابها للمخيمات المنتشرة في غزة.

حضور إيران في غزة

للأمم المتحدة ومؤسساتها تاريخ في غزة، بعد انسحاب إسرائيل، هذا على إثر اتفاقيات أوسلو طبعاً، جرت معارك طاحنة عام 2007 بين حركتي فتح التي

حماس، منذ تحولت إلى دويلة صغيرة

تعتمد على دعم إيراني وقطري، وهي لم تعد مقاومة، بل فصيل أمر واقع عسكري، حصل على هذه الدويلة بفعل القوة.

جهة أخرى هذه المنطقة الأمنية ستكون على حساب أهل غزة، لأنها منطقة زراعية خصبة تعتمد عليها غزة. هذا التقسيم الأمني لغزة يجعل القطاع مخيماً وسجناً، لكن بمساحة أصغر، لأن هذه المنطقة يراد تهجير سكانها لجنوب قطاع غزة، أو إلى سيناء. ولا أعرف في الحقيقة إن كان من اقتلعتهم الممجية الإسرائيلية من بيته في غزة سيعود إليه، خاصة من دمرت منازلهم بقصف الإبادة. إنهم بحدود المليون نازح داخل غزة، ويجري التعطيم على القضية، لحساب قضية الرهائن عند أمريكا وإسرائيل، ولحساب قضية الأقصى عند حماس وربعها، إنها قضية فلسطين وشعبها، بصفتها الرمزية الوحيدة التي يجب أن يُهتف لأجلها، وليست قضية الأقصى!!! والأقصى كأي أثر حضاري في فلسطين، وما أكثرها من آثار، رغم رمزية الأقصى بالنسبة للمسلمين، لكن القصة قصة شعب فلسطين!

الموقف من حماس

حماس، منذ تحولت إلى دويلة صغيرة تعتمد على دعم إيراني وقطري، وهي لم تعد مقاومة، بل فصيل أمر واقع عسكري، حصل على هذه الدويلة بفعل القوة، ضد حركة فتح، بوصفها تمثل السلطة التي أفتجها اتفاق أوسلو المخيب لآمال الفلسطينيين الذين يحلمون بدولة كبقية شعوب الأرض. هذا الفصيل له حسابات الدويلة، وحسابات داعميه بالدرجة الأولى، وتأتي لاحقاً قضية الشعب الفلسطيني. حتى مجرد اسم العملية طوفان الأقصى، هو اسم لا يرمز لفلسطين، بل يرمز إلى بُعد ديني إسلامي، يغيب فيه حضور الشعب الفلسطيني.

إدانة حماس لا يتم بناء على العملية العسكرية التفاوضية التي تمت، وسميت طوفان الأقصى، بل تدان حماس، منذ تأسيس دويلتها على الشاكلة الإيرانية. هذه الإدانة، أو عدمها لا علاقة لها، بما قامت به إسرائيل سابقاً، وتقوم به حالياً من جريمة.

العدوان الإسرائيلي الذي يتم الآن على غزة يدخل أيضاً في قنوات التفاوض الإقليمية والدولية. أمريكا، إيران، إسرائيل، مصر أيضاً، باعتبارها خياراً مطروحاً، لاستقبال نازحي غزة، وهذا ما رفضته مصر. إيران استطاعت أن تكون لاعباً فاعلاً في غزة، على غرار لبنان. لم تدخل إيران منطقة، إلا وكان مصيرها الخراب والفشل والقتل.

هذا الاشتباك التفاوضي يتوافق مع حملة غربية متكاذبة، لدعم إسرائيل في عدوانها. وسيدفع أهل غزة المزيد من الدمار والتشريد، والمزيد من إدارة حماس السينة لقطاع غزة. لا شيء في الأفق غير ذلك للأسف.

سورية ولبنان غير محاصرتين، من قبل إسرائيل بعكس غزة. غزة حولتها إسرائيل إلى سجن يشبه السجون النازية، وربما إلى أكبر سجن بالتاريخ البشري، حيث تسجن إسرائيل فيها أكثر من مليوني مواطن، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار سوء العلاقة بين حماس، والسلطة المصرية وتقلباتها.

مشاريع تقوية المقاومة

التصنيف الأمريكي أولاً والأوروبي ثانياً لحماس، بوصفها منظمة إرهابية، جعل حماس ترتعن أكثر، ومعها بقية الفصائل لإيران، إيران التي تمول بعض المشاريع هناك، مشاريع ما يسمى تقوية المقاومة!! ضمن هذا الفضاء أتت عملية حماس الأخيرة 7 تشرين الأول 2023. هذه العملية التي أدت إلى هذه الحرب القائمة الآن، والتي حصدت من سكان القطاع، وهذا ما قامت به إسرائيل، بقصف مشفى المعمداني، وذهب ضحية هذا القصف 500 مدني، إضافة إلى الجرحى، وتدمير المشفى.

"إجمالي ضحايا العدوان الإسرائيلي، منذ بدء العدوان على غزة يرتفع إلى أكثر من 8000 منهم 3300 طفل، و2000 امرأة تقريباً، إضافة لإصابة أكثر من 30000" معظمهم من المدنيين، ولا يزال العدوان مستمراً، إضافة إلى تدمير هائل في البنى التحتية الضعيفة أصلاً، وتشريد أكثر من مليون نازح إلى جنوب القطاع.

هل العملية الضخمة التي قامت بها حماس، وأدت إلى مقتل أكثر من ألف إسرائيلي، واحتجاز 222 رهينة من الجيش الإسرائيلي والمستوطنين هي التي أدت إلى هذه الحرب المجرمة؟ أم إن الاستيطان الإسرائيلي بوصفه استعماراً خاصاً بُني على سياسة اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، ومنعهم من إقامة أي كيان سياسي خاص بهم؟ الحكومة الإسرائيلية، ومعها أمريكا تحاول جعل قضية احتجاز الرهائن عنواناً رئيسياً، دون المرور على أن هنالك سجناً كبيراً تعيش فيه غزة منذ 15 عاماً تقريباً.

بداية أزعج أن الغاية الآن ليس تحرير الرهائن، بل الغاية هي تقسيم غزة إلى شمال تريده إسرائيل منطقة أمنية، لا أحد يعرف عمقها داخل القطاع، ومن



طوفان الأقصى



د. أحمد عسيلي

إسرائيل كأكبر خطر على الديمقراطية الغربية

في حديث مع أحد التلفزيونات الفرنسية، ظهر منذ عدة أيام الروائي الفلسطيني كريم قطان، ليقول بكل صراحة: "أنا خائف من التحدث في الشأن الفلسطيني"، وبرر هذا الخوف "ممكن أن تأخذ أي كلمة أقولها، وتخرج من سياقها، لاتهم لاحقاً بعدة اتهامات".

ربما كان الأمر، ل يبدو سورياً، لو تخيلنا هذا السيناريو، منذ عدة أشهر فقط، روائي في منصة إعلامية فرنسية خائف من الكلام، في بلاد الحرية وحقوق الإنسان، والتي تعتبر حصن الديمقراطية، وتدافع عن حرية التعبير، لأنها تعتبرها جزءاً من هويتها الوطنية، منذ أيام الثورة الفرنسية، فحرية الكلام في فرنسا حق مقدس، بل إن التظاهر والإضراب جزء من الحياة اليومية للفرنسيين. لكن للأسف هذا الخوف أصبح الآن مبرراً جداً، بل وربما يشاركه فيه العديد من الفرنسيين، سواء أكانوا من أصول أجنبية، أو فرنسية، فالكلام ممنوع، وحرية التظاهر ممنوعة، وبأمر من وزير الداخلية نفسه!

لحظة: ألم تكن حرية التظاهر جزءاً من الدستور الفرنسي، والشرعة الدولية لحقوق الإنسان، والتي صادقت عليها فرنسا، وتعتبرها الدولة الفرنسية جزءاً أساسياً من مبادئ تكوينها؟

نعم، هذا الكلام صحيح، في ما يخص كل شيء، سوى السياسات الإسرائيلية، فقد وصل التهريب النفسي، والوعيد بسحب إقامة كل أجنبي يشارك في هذه المظاهرات، قرار اتخذه وزير الداخلية، ثم أبطلته المحكمة الدستورية (وهي آخر حصون الديمقراطية في فرنسا)، لكنها أبقت على حق رئيس شرطة كل منطقة في منع هذه التظاهرات، إذا كانت مهددة للأمن!!! ولا أفهم صراحة، كيف يمكن لمظاهرات أن تخل بالأمن؟ أليس مسؤولية الأمن حمايتها، أليست حرية التظاهر هي ما يميز المجتمع الديمقراطي؟

والأكثر كارثية هو التهديد الذي طال بنزيم، ومن وزير الداخلية نفسه مرة أخرى، الذي تحدث، وكأنه شتيح في جمهورية الأسد، أو أحد صحفيي الرده في التلفزيونات المصرية، متهماً بنزيم بتهمة غاية في السخوية والاستهتار، بعقول الشعب الفرنسي، بأنه على علاقة مع جماعة الإخوان المسلمين!!! ومع انتشار شائعة سحب الجنسية الفرنسية منه، شائعة اعتقدت بداية أنها مزحة تافهة، من تلك المبالغات التي تنتشر بين الفترة والأخرى، لافاجاً بأنها بالأصل تهديد من عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي فاليري بوبيي القيادية في الحزب الجمهوري!

بل وصلت الأمور بوزير الداخلية هذا، إلى طلب السماح للأجهزة الأمنية، بالدخول والتنصت على المحادثات الخاصة للفرنسيين، في جميع تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي، بكل ما يحمل ذلك من خطورة كشف الحياة الخاصة، لجميع المواطنين، وتعريضهم لإمكانية الابتزاز. خوف من الكلام، تهديد بالطرده في حالة التظاهر، تهديد ومن أعلى المستويات، بسحب الجنسية، نتيجة تويطة على الفيسبوك، وكل هذا في فرنسا!

بريطانيا أيضاً

الأمر لا يقتصر فقط على فرنسا، بل يمتد إلى جارتنا بريطانيا، التي تفخر بأنها أعرق ديمقراطية، وأقدم مجلس عموم، ومع ذلك فإن اللاعب الكروي الأشهر محمد صلاح، لم يستطع أن يتكلم، ولا أن يدلي بأي تصريح، رغم مرور أسبوع على الأحداث، وحين خرج بفيديو بسيط من عدة ثوانٍ، ظهرت عليه ملامح الخوف والقلق، خوف وقلق من تصريح، لبطل كروي، في أهم بلد ديمقراطي في العالم؟!

نعم، وخوفه مفهوم جداً، (ولا نبرره)، فهو يدرك تماماً أنه لو أدلى بأي تصريح مخالف، لسياسات اللوبي الصهيوني، فإنه سيفتح على نفسه طاقية جهنم، وستنهال عليه الاتهامات بالعداء للسامية والإرهاب، وسيبحثون في كل شاردة، وواردة في حياته الخاصة والعامة، وحين يجدون أي خطأ بسيط، ستنهال عليه الاتهامات والقضايا في المحاكم.

حتى الصحفيين

في المقابلة الشهيرة التي أجراها باسم يوسف مع بيرس مورغان، أخرج باسم المذيع، بأنه شبه سياسة إسرائيل بداعش، هنا ارتبك جداً مورغان، ليسحب كلامه فوراً، ويقول، وبجملة خارج السياق تماماً: (أنا أشبه حماس بداعش، وليس إسرائيل).

هذا الاستعجال الذي صرح به مورغان، يكاد يكون قريباً جداً، من أي تصرف لصحفي سوري في الداخل السوري مثلاً، حين يتم الحديث عن عائلة الأسد، فلا بد هنا من بعض الجمل مثل: بالروح بالدم، أو القائد الخالد، كي يشعر المذيع، بنوع من الطمأنينة على نفسه، ولاستخدام هذه الجملة لاحقاً، فيما لو اتهم بمعاداة الوطن، الشيء نفسه يحصل هنا، لكننا أمام تلفزيون بريطاني، فهل كنا نتخيل أن نصل إلى يوم كهذا!

الخطر على الديمقراطية

منذ انتهاء الحرب الباردة، وتفكك المعسكر الشرقي الذي كان يعتبر العدو الأول للديمقراطية، بدأ المفكرون الغربيون، بالبحث عن الأخطار التي يمكن أن تلحق بالحرية في الغرب. بدأت هذه الأبحاث مع كتاب فوكوياما الأشهر (صدام الحضارات)، والذي اعتبر فيه أن الإسلام هو الخطر الأكبر على الديمقراطية في الغرب، ثم انهارت البحوث، ليرى بعضهم في روسيا ذلك الخطر، بعضهم رآه في الصين، والآخر في المهاجرين في الغرب الذين يمكن أن يهددوا البنية الديموغرافية لحضارة الرجل الأبيض، وعددوا كل الأعداء المحتملين لتلك الديمقراطية، لكن لم يخطر ببال أحد يوماً، أن تكون أخطر رصاصة في جسد الديمقراطية، ستطلق من نيران صديقة، بل من الولد المدلل للغرب!

الأوروبيون ليسوا أغبياء، وهم يعرفون تماماً الحالة التي وصلوا إليها هذه الأيام، من التهديد لحرية التعبير التي يفخرون بها، ويعلمون أن الكلام أصبح ممنوعاً، وكأننا في أحد دكتاتوريات جمهوريات الموز، فالحديث في العمل حول القضية الفلسطينية أصبح تقريباً (تابو)، ويحاول الجميع الابتعاد عنه، للحفاظ على نفسه، وللابتعاد عن أي حديث، ربما يُفسّر بشكل خاطئ، ويجرّ على صاحبه المشاكل على مبدأ "الباب اللي يجيك منو ريح، سدوا واستريح" والباب الإسرائيلي فيه الكثير من الرياح العاتية، فبعد أكثر من ثلاثين عاماً، من البحث عن الخطر المحدق في الديمقراطية، لم يتنبأ أحد، بأن يأتي هذا الخطر، ويعيش الغربي في خوف من الكلام، والسبب إسرائيل!

على كل، الحرية لا تتجزأ، إما حرية تعبير كاملة، أو الصمت، وحين تبدأ الأمور بقضية ما، فإنها ستتبع قضايا أخرى (ربما بدأت بعض إرهاباتها الآن)، وأستطيع القول: إن الأزمة الفلسطينية حالياً هي أكبر امتحان تتعرض له الحريات في أوروبا، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فهل ستنتج أوروبا في الخروج من هذه الأزمة منتصرة، والإصرار على حرية التعبير داخل ترابها، أم ستتكرر، ليلحقها انكسارات أخرى؟! أتمنى أن تنتصر قيم الحرية، لأنها لو انكسرت هنا، في باريس مونتيسيكو، وجان جاك روسو، فسنكون قادمين على أيام صعبة جداً.

غزة الارتباك الدائم



مصعب الجندي

بقية الحلفاء والأصدقاء العرب المطبوعين علناً، أو سراً، والمخرجين أيضاً (ولو بلا خجل) أمام شعوبهم. الإسرائيليون بين مطرقة الهزيمة التي قد تعني حكماً الدخول في دوامة الانتخابات وتكرارها، وبين التردد أمام المعركة البرية التي ستكون باهظة التكاليف، بعد تجربة اجتياح لبنان، وحصار بيروت، دون التمكن من اقتحامها، لما بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين منها، وإزالة دشم الدفاع عنها. أما باقي التتابعات الأمريكية تعيش الخجل أمام قيمها، وشعاراتها ومصادقيتها، أمام شعوبها التي تعارض الهجوم على غزة، رغم كل الآلة الإعلامية والسياسية المجددة لها.

إيران الأذرى، والأدهى في الحسابات، والتي صنعت وخاضت جميع حروبها، عبر ولائها في المنطقة، يبدو أنها رغبت بعمل ما لحركة حماس ثأراً من إسرائيل، لكنها لم تتوقع الحجم، أو قدرة حماس على تحقيق هذا الحجم من الخسائر لإسرائيل، وهي الأكثر ارتباكاً من اضطارها دخول المعركة مباشرة، لأنها تعرف حجم خسائرها مسبقاً، أما الوكلاء، فأرتباك الفرع تابع للأصل، وهنا كلّي أمل أن أكون مخطئاً، بأن المشروع الإسلامي للأصل والفروع متقدّم على المشروع (الفارسي/الصفي).

طبعاً لا تغرينا بعض المناوشات في الجنوب اللبناني، لأن إمكانية فتح جبهة بطول (79 كم لبنان، 76 كم الجولان، بالإضافة ل 51 كم غزة) إمكانية موجودة، ومتوفرة لمن يريد فعلاً.

باقي العرب: لا حديث!...

بالكاد هي في مجال البحث عن وسائل، وأدوات استكمال السيطرة على شعوبها، وهي معنية فقط في حسابات النصر والهزيمة، وخطابهم (السياسي/التعبوي)، ورؤيتهم لها التي لا أرقام للشهداء فيها ولا حجم الدمار، قد يكون (نصراً إلهياً) كحرب تموز 2006، أو نصراً جماهيرياً ثورياً (كنصر 67...؟ حين تمكّن النظام في دمشق من تحقيقه، بعد أن فشلت إسرائيل في إسقاط النظام كهدف رئيسي لحربها). جميعهم يتربص لقطف ثمار الخواتيم، وهم سادة العارفين، بأن الجوائز والمكاسب الأمريكية توزّع، وفق مدى السمع والطاعة.

وحده (الفلسطيني/ السوري) غير مرتبك، فلا سبل أمامه، ولا بدايات ونهايات له، إلا البسط والقبض، الوجد والفيض، الحلم والرفض، له الشجن، القاهر الموجه المستحب الذي يبدع، وعلى كل القيادات يقوم.

لا أؤمن بنظريات المؤامرة التي تكثر في وسائل التواصل ومنصات الإعلام، ومنعاً للتكرار لا حاجة لتفنيدها، أو نقضها. وأتخاشى، أو أتهرب، لا بأس بالفعلين، من وضع تكهنات، عما ستؤول إليه نتائج طوفان الأقصى، ولن أكون من القائلين ستثبت القادحات من الأيام أن، وأن، وأن؟؟ لكن السياسة وإدارتها، وتتابع الأحداث قد يعطينا بعض النتائج، ضمن المدى المنظور الحالي، مع هوامش خطأ، وباختصار شديد:

أولاً: لا جديد في الدعم الدولي الغربي لإسرائيل، وإنما الجديد حجمه، وفي كل المجالات (العسكرية والأمنية والإعلامية)، وأغلب الظن ليس عن عدم ثقة بقدرات إسرائيل وتفوقها العسكري، لأنه من المسلمات، لكن إسرائيل نفسها تعاني من حالة خلل داخلي هو تتابع وصول اليمين الصهيوني إلى إدارة الدولة، وتعاقب الحكومات ذات البنية المتطرفة، وذلك عبر صناديق الاقتراع، بالاعتماد على أصوات المستوطنين، وأعدادهم التي هي في ازدياد، مع التنويه أن غالبيتهم من المتدينين اليهود، وهم فئة اجتماعية لا تخدم في جيش الدفاع الإسرائيلي، والنتيجة كانت سلبية في بنية الجيش وتكوينه الاجتماعي، فتاريخ تشكّل الدولة العبرية يذكر أن أغلب قياداتها كانت من المؤسسة العسكرية، أو شبيهاً التابعة لها بشكل مباشر، وهو أمر يوصف من وجهة نظر قوى الدولة الشاملة، بضعف في العامل المعنوي. وعلى الرغم من حالة تتابع تسلط اليمين التي خلقت نفوراً داخلياً ودولياً، إلا أن هذا (الدولي/الأمريكي)، ولخشيتهم حتى من شبه هزيمة لإسرائيل تماهى مع الموقف الإسرائيلي بشكل مثير للقرف.

ثانياً: من الخطأ الدخول في تحديد زمن ما قد يطول، أو يقصر لواقع الصدام العالي الوتيرة الحالي، والمفتوح على كل احتمالات التمدد، وخصوصاً مع تجميع القوى العسكرية بهذا الشكل الذي يكاد يفوق حالة حرب تشرين (350 ألف عسكري احتياط، والرقم في ازدياد، عدا عن قوات غربية وأمريكية مضافة إلى ما هو متواجد سابقاً). هذا التجميع يسمح بإطالة الزمد، ويفتح المنطقة على كل الاحتمالات.

ثالثاً: الجميع مرتبك، وهنا بيت القصيد! الأمريكيون، ومحيطهم مخرجون، وفي حيرة من أمرهم، بين خشية على إسرائيل من الفرق في رمال غزة، وعدم وجود رؤية لديها، عن كيفية الانسحاب بنصر أو بدونه، وبين

من إدلب إلى غزة على خطى إبراهيم عليه السلام



د. مهنّا بلال الرشيد

**حاول الفراعنة أن يخضعوا البدو في غزة بالقوة
فاكتشفوا أنهم أشبه بمن يصارع طواحين الهواء؛ فاضطروا إلى
توقيع التفاهات ومعااهدات الصلح معهم مقابل السماح لُرسل
الفراعنة أن تمرّ بسلام من غزة وغلافها نحو بلاد الشام والجزيرة
العربية وبابل وآشور**

ولأن الحاجة أم الاختراع استطاع الأبناء والأحفاد في أوجاريت أن يرمزوا لمخارج الأصوات بحروف أبجدية؛ وهي (30) مخرجا تقريبا؛ ولذلك صارت حروف أبجديات العالم كلها حوالي (30) حرفا، وبذلك اخترعوا الأبجدية، واخترعوا أول نظام تشفير رقمي أو أبجدي معاصر، اقتبسته لغات العالم كلها، ثم طوره (ستيف جوبز) (1955-2011) العالم الأمريكي من أصول (سورية-حمصية) إلى نظام تشفير رقمي في هواتف شركة (APPLE) وحواسيبها الرقمية.

وهنا تبدو لي بعض المفارقات اللغوية المقصودة في هذه الاختراعات؛ فجيوفاني بيتيناتو يطلق على لوح الطين الإيلوي - اسم (Tablet) وشركة أبل تطلق الاسم ذاته على أجهزتها اللوحية، وأشهر محرك للبحث في شبكة الإنترنت (لصاحبها الكنعانيين أو الإسرائيليين) باسم

(Google) يشبه قول أهل (إيلبا) في لغتهم المحكية: جوجل: أي جمع التبن والقمح المتناثر بين الأشواك في موسم الحصاد، وهذا المعنى يشبه تماما ما يريده مؤسسو شركة (Google) من محركهم البحثي، الذي يقدم لمستخدميه خدمة جمع المعلومات من حقولها المعرفية بنفس طريقة جمع الحبوب من حقولها الزراعية بين الدروب والأشواك، وإن أثبت تحليل الحمض النووي المعاصر أن الفينيقيين والكنعانيين في غزة والخليل وفلسطين من العرب واليهود معا أحفاد حقيقيين لأموريي إيلبا؛ فإن ساسة هذا الزمن ومجرميهِ المعاصرين، مازالوا يبخسون حقوق هذين الشعبين العظيمين في (إدلب-إيلبا) و(غزة) معا بعد أن أنصفهم الفراعنة، وحاربهم كل من سرجون الأكدي وحفيده نارام سين وحسن الصباح الحشاش وأحفاده حافظ ورفعت وبشار الأسد في حلب وإدلب وحماة.

وإن أشار جيوفاني بيتيناتو إلى الظلم والأيدولوجيا الكامنة وراء تغييب رقم إيلبا وأساطيرها وحضارتها العريقة، فإن ظلم تنبأه وأحفاد الحشاشين ضد أهلنا في غزة وإدلب قد بلغ حدا لا يطاق، وقد بلغ السيل الزبى، ورغم ذلك كله ما زلنا نتمسك بالحياة في إدلب وغزة، ما زلنا نؤمن بالسلام، نؤمن بنخوة ستنهض مثلما نهضت العنقاء من رماد النار، مثلما نهضت حضارة إيلبا ورقمها من قلب النار بعد أكثر من (4000) أربعة آلاف سنة من إحراقها، وستطيع هذه النار بتحالف تنبأه مع المجرمين من أحفاد الحشاشين (بشار الأسد ونصر الله)؛ ليقود شعوب هذه المنطقة ساسة معتدلون، سينشرون السلام الذي ننشده جميعا، وسيوقعون معاهداته، وستتبادل الهدايا مثلما تبادل أهل غزة وغلافها الهدايا مع الفراعنة قبل آلاف السنين!

أما أقرباؤهم من العرب الأموريين في إدلب (EBLA) فقد غزاهم سرجون الأكدي، وأحرق حفيده نارام سين مكتبة قصرهم الملكي في إيلبا؛ ولأنه اختار العنف العسكري بدل الصلح الذي جنح إليه الفراعنة في غزة وغلافها، سقطت الدولة البابلية الأولى بعد برهة تاريخية، وخلد التاريخ ما يقرب من (20000) عشرين ألف رقيم من رقم إيلبا، كشف باولو ماتيه وجيوفاني بيتيناتو وألفونسو أركي أسرارها وأسرار لغتها السامية الشمالية الغربية المستقلة عن أكديّة العراق المكتوبة بالحرف المسماري، وتبين أن ملوك بابل لم يتفهموا هذا الاستقلال الديني واللغوي لمدينة جميلة مثل إدلب (EBLA)؛ فغزوا هذه الحضارة العريقة، وأحرقوا مكتبتها؛ لكنها نهضت من تحت الركام بعد أكثر من (4000) أربعة آلاف سنة من إحراقها، وقد هاجر تجار مملكة إيلبا (EBLA) إلى حلب (ALEPPO)؛ فازدهر طريق الحرير بتجارهم، والآن يناور المجرم بشار الأسد مع الصينيين لإحياء هذا الطريق، ولو تأملت عزيزي القارئ في كلمتي (ALEPPO) و(EBLA) لوجدتهما كلمة واحدة، ويرجع الاختلاف إلى طريقة القراءة من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين فقط مع مراعاة ظاهرة الإعلال في اللغات السامية.

**من لغة إيلبا وأبجدية أوجاريت إلى
ستيف جوبز وشركة APPLE:**

رحل كتاب قصر إيلبا إلى أوجاريت أو رأس شمرا في الأدقية، وطوروا هناك لغة آبائهم وأجدادهم الإيلابيين؛ فقدّموا للبشرية أعظم اختراع عالمي حتى وقتنا الراهن؛ إنه اختراع الأبجدية، أو الترميز لأصوات الحروف ومخارجها بحروف أبجدية بدل الترميز للكلمات التامة بحروف مسمارية؛ أي أن الإيلابيين -بحسب جيوفاني بيتيناتو- اخترعوا كلمات الكتابة الأكديّة بالحرف المسماري، وبسطوها من (2000) ألفي كلمة مهمة إلى (500) كلمة مهمة؛ هي قلب اللغة عند الباحث الروسي (أ. كندراتوف)، ولم يستطيعوا أن يبسطوها أكثر من ذلك؛ لأن الحد الأدنى من التواصل بأي لغة يحتاج إلى ما لا يقل عن (500) مفردة؛

من جنوب العراق في (أور وبابل) إلى الميادين ثم إلى دير الزور والرقة وأورفا في تركيا، ثم نزل في مدينة حلب؛ ولذلك راح يربط بعض المؤرخين بين هذا النزول ولقب مدينة حلب، أو اسمها الشائع: (حلب الشهباء)؛ أي حلب إبراهيم -عليه السلام- البقرة البيضاء أو الشهباء، ثم نزل إبراهيم عليه السلام إلى مدينة مسكنة جنوب حلب، وعبر في أراضي أجداده الأموريين في إدلب (EBLA)، بعد أن غزا سرجون الأكدي مملكتهم، وأحرق حفيده نارام سين قصر ملكهم في (إيلبا-إدلب)، وتابع نزوله على طريق رحلة الشتاء وال الصيف التجاري الشهير نحو حماة فحمص فدمشق، ثم نزل عند بدو الأموريين في غلاف غزة؛ فازدهرت مدينة خليل الرحمن في فلسطين، وتابع طريقه إلى مصر الفرعونية؛ فتزوج منها، ثم استقر بواي قاحل غير ذي زرع من وديان مكة المكرمة؛ ليحمي دعوته من نفوذ مملكتي: (بابل ومصر الفرعونية)؛ أقوى حضارتين متنافستين على المجال الحيوي في الجزيرة العربية وبلاد الشام، ورفع مع ابنه إسماعيل قواعد بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

**غزة وإدلب على تخوم النمرود
والفراعنة:**

حاول الفراعنة أن يخضعوا البدو في غزة وغلافها بالقوة؛ فاكتشفوا أنهم أشبه بمن يصارع طواحين الهواء؛ فاضطروا إلى توقيع التفاهات ومعااهدات الصلح معهم مقابل السماح لُرسل الفراعنة أن تمرّ بسلام من غزة وغلافها نحو بلاد الشام والجزيرة العربية وبابل وآشور وما وراءها وفقا للجداريات الفرعونية، التي تصوّر البدو المحملين بالهدايا والقادمين على جمالهم؛ ليتبادلوا الهدايا مع فراعنة مصر، وهكذا لم يفلح الفراعنة في كسر شوكة بدو غزة وغلافها، ولم يكن هناك حل غير الصلح وتبادل الهدايا.

العنف والحضارة صنوان لا ينفصلان، ويمكنك أن تتخيل عنفا موازيا أغفلته كتب التاريخ كلما نظرت إلى منجز حضاري قديم أو حديث، ولا شك أن هذا العنف يتوازي طردا مع ضخامة ذلك المنجز الكبير، ولك أن تتصور آلاف العمال الذين شيّدوا برج بابل، وبنوا زقورات العراق، ومثلهم ألوف آخرين بنوا الأهرامات، ولم تحصل غالبية العمال العظمى إلا على طعامها وشرايها وملبسها جزاء عمل يوم طويل في نقل الأتربة والحجارة وعمليات البناء والتشييد، ولم يذكر التاريخ أسماء العمال، بل ركّز على أسماء الملوك الذين أمروا ببناء تلك الأوابد، واحتفظ بأسماء بعض المهندسين الذين أشرفوا على عمليات البناء، وحين هب إبراهيم -عليه السلام- في وجه النمرود وظلمه في بابل بين (1800-1900 ق.م)،

أراد النمرود أن يحرق إبراهيم عليه السلام؛ ليتخلص منه ومن دعوته، ثم نجى الله إبراهيم عليه السلام، ونشأت الحنفية الإبراهيمية ومن بعدها اليهودية ردا على الظلم الموازي في الحضارتين: (البابلية والفرعونية)، ثم ظهرت المسيحية؛ لتخلص الناس من عبودية طويلة صاغها الفرس والرؤم حين كانوا يتنافسون على المجال الحيوي الكبير في الشرق الأوسط، وزادت وثنيات بلاد الشام والجزيرة العربية من عبودية الإنسان؛ حتى ظهر الإسلام، وحرّر الناس من هذه العبودية؛ ومن هنا يبدو لنا دور البعد الروحي والديانات السماوية في تحرير البشر بعد كل مرحلة خطيرة من مراحل الظلم والاضطهاد في الحضارات القديمة، ويبدو أن درجة الظلم والاضطهاد قد بلغت حدا لا يطاق في ظل حضارة العولمة والثورة الرقمية الرأعنة، ويبدو هذا الظلم جليا في الجرائم، التي يرتكبها المجرم بشار الأسد وحلفاؤه (روسيا وإيران وحزب الله) ضد المدنيين الأبرياء في إدلب، كما يعاني المدنيون المسلمون في غزة من جرائم تنبأه وظلم حلفائه، وإن عانت إدلب وغزة من هذا الظلم الكبير في زمن الثورة الرقمية، فقد عانت هاتان المدينتان الجميلتان من ظلم مشابه زمن إبراهيم عليه السلام.

**العرب الأموريون في إدلب أو إيلبا
والعرب البدو في غلاف غزة قدر
متشابه منذ سالف الأزمان:**

تعارض طموح إبراهيم -عليه السلام- بالخلاص والاستقلال والحرية مع نوازع النمرود في استعباد البشر، ولم يكن أمام إبراهيم -عليه السلام- إلا الهرب؛ فرسم طريق هجرته بعناية فائقة، وسار في بلاد أجداده الأموريين، وصعد عبر الفرات من



الصف على غزة - أكتوبر 2023

كتاب يُقرأ

صدر قبل 80 عاما ومؤلفه كان قائمقام المدينة
(تاريخ غزة) لعارف العارف: حكاية 50 قرناً
من حوادث التاريخ وتعاقب الغزاة والفاثحين
بقلم: د. فطيم دناور

لم يتوقع مؤلف "تاريخ غزة"، أن تؤخذ هذه المدينة العالم إعلامياً وسياسياً وإنسانياً، إنما كانت أمنيته - كغيره من أبناء ذلك الجيل "الوحدة العربية والاستقلال" أمنية بدأت إشراقاتها تطل عليه من وراء السحب.



عارف العارف



غلاف الكتاب

ولطالما اعتبرت في التاريخين القديم والحديث (المخضر الأمامي لمصر والشام)؛ ولهذا كانت موضع اهتمام الملوك، والسلاطين والغزاة والفاثحين الذين اعتلوا عرش النيل، من أيام الفراعنة إلى يومنا هذا.

ولعل المصريين أهم عنصر استوطنها على مر الأحقاب، وكانت على جانب عظيم من الأهمية عندهم، ثم برزت كمدينة رئيسة مزدهرة في عهد الملوك الرعاة (الهكسوس)، إلى أن فتحها الفلسطينيون، قبل إبراهيم عليه السلام، واتخذوا منها حصناً جنوبياً منيعاً، بوجه هجمات المصريين، وتبين أخبار (شمشون الجبار) الواردة في العهد القديم أنها كانت موضع صدام الخصمين: الفلسطينيين واليهود، حتى استولى عليها النبي سليمان عليه السلام، أواخر الألف الأولى قبل الميلاد، وبقيت بين شد وجذب بين الطرفين، إلى أن استولى عليها الملك الكلداني "بختنصر"، وأخضعها لسلطته كباقي مدن فلسطين

ثم توالى على حكمها الآشوريون والبابليون، والفرس، قبل أن يسيطر عليها اليونانيون، ففقدت إبان عهدهم أعظم مدينة سورية، حتى وصفها مؤرخوهم بـ "المدينة العظيمة"، لأهميتها التجارية والزراعية، وباتت مصدر إشعاع للثقافة اليونانية، يقصدها طلاب العلم من أثينا، ومدن سورية العراق؛ ولهذا يمكن اعتباره العهد اليوناني "الذهبي لغزة"، واستمرت ثقافتها يونانية، طيلة الحكم الإمبراطوري الروماني. ولكن أصابها ما أصاب باقي مدن فلسطين من فظائع الحروب التي تدور بين الرومان والثأريين على حكمهم يهود أو مسيحيين، لكنها حظيت بعهد الإمبراطور (أوريليوس هاديانوس)، بنقش اسمها على أحد وجهي العملة، وبتاريخ عرف في ما بعد بـ "التاريخ الغزي". كما اشتهرت في هذا العهد بمدرسة الخطابة ذاع صيتها في سائر بلاد المشرق. أما عن الديانة، فقد استمرت فيها الوثنية بعبادتها وطقوسها، وعدائها للمسيحية، حتى أواخر القرن الرابع الميلادي، إذ اعتنق غالبية سكانها المسيحية، وعادت إلى سابق عهدها بالازدهار الثقافي والعمراني والتجاري، ولكن بحلة كنسية مسيحية.

بعد الفتح الإسلامي:

يرجع عهد غزة بالعرب إلى (المعنيين والسبئيين) الذين أسسوها، منذ ما يقارب (3750 ق.م) ونظراً لكونها باب الصحراء ونقطة اتصال شبه جزيرة العرب، بحوض البحر الأبيض المتوسط، كانت الهدف لرحلة أحفادهم الصيفية إلى الشام، يؤكد ذلك قبر هاشم بن عبد مناف جد الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها؛ ولذا سميت (غزة هاشم).

عارف العارف ابن مدينة القدس (1892م)، الذي تلقى تعليمه من مصادر عربية وتركية، ثم روسية وألمانية، وتعددت ميادين إنتاجه، بين الصحافة والتأليف والترجمة، قذفت به الحرب العالمية الأولى التي خاضها مع الأتراك إلى "سبيرييا" منفياً، ما أتاح له تعلّم اللغتين الروسية والألمانية وإتقانها. وبعد رحلة فرار شاقة، رجع إلى مسقط رأسه سنة 1919 م، لينخرط في النضال السياسي، ضد الاحتلال البريطاني- اليهودي، فترأس المجلات، وقاد التجمعات، وانضم للجمعيات، إضافة إلى تقلّده مناصب رفيعة في الأردن وفلسطين، إذ كان يشغل منصب (قائمقام غزة)، في الفترة التي آلف بها كتابنا هذا.

ومما يميّز كتاباته التاريخية أن جلّها جاء نتيجة مشاهداته الذاتية، وأنها اتّسمت بالموضوعية، وتحريّ الدقة. والمتصفح لعناوين كتبه يلحظ أنها دارت حول مدن فلسطين من جهة، والأحداث السياسية التي عصفت بها في القرن العشرين من جهة ثانية، بحيث كانت القدس ومسجدها بؤرة إنتاجه التاريخي؛ وهو ما أمّله للقب "شيخ المؤرخين الفلسطينيين" أو "عميدهم". وأما كتابنا "تاريخ غزة" فقد أراد به الكاتب - كما صرّح في المقدمة - نقل ما عرفه، وعائشه في غزة من المبادئ الأخلاقية، والفوارق الاجتماعية، والعوامل الاقتصادية، والحوادث التاريخية إلى أبناء قومه، في باقي أرجاء الوطن العربي، حتى ينقل لهم تاريخ تلك البقعة نقلاً حياً شاملاً، داعياً إياهم، ليحذوا حذوه، فيكتبوا عن مدنها ومناطقهم.

ويمكن أن نفترض الفتح الإسلامي حذاً فاصلاً، بين مرحلتين أساسيتين في تاريخها، فتكون الأولى: ما قبل الفتوحات الإسلامية، والثانية ما بعده.

قبل الفتح الإسلامي:

روح الباحث المستقصي للحقائق يرجع العارف قيام غزة إلى عصور سحيقة قبل الميلاد، فهي "ليست بنت قرن من القرون، أو وليدة عصر من العصور، إنما هي بنت الأجيال المنصرمة كلّها، ورفيقة العصور الفاتنة جميعها، من اليوم الذي سطر فيه التاريخ صحائفه الأولى إلى يومنا هذا". أما اسمها فقد تبدّل، وتغيّر، بحسب الأسم التي (صارعتها)، وتوالى على غزوها وحكمها، فهي "غزة" و"غزة هاشم" و"غزاتو"... ولهذا الاسم تفسيرات عدة تكاد تجتمع على معنى المنعة والقوة والثروة.

في تلك العصور المتناهية في القدم أمّا (المعنيين) القادمون من اليمن للتجارة، قبل أن تتوزّع قوافلهم بين مصر والشام، ثم توالى عليها هجرات القبائل العربية من الجنوب والشرق والشمال. وتشير كتابات، وآثار قديمة ترجع إلى العصر البرونزي "4000 ق م" إلى قيام حضارة كاملة فيها في تلك الحقبة ببنائها، وزراعتها وديانتها وعلاقاتها، وقد مكّنها موقعها الجغرافي، من لعب دور بارز في الحضارات المتعاقبة، إذ "كانت غزة - ولا تزال - حلقة اتصال مباشر بين مصر والشام، إنما ذات قيمة حربية في نظر الجيوش التي تعبر الصحراء.

ويؤكد العارف أن النبي عليه الصلاة والسلام هبط غزة، قبل الإسلام في تجارته إلى الشام، كما هبطها جده، وأبوه، وعمه أبو سفيان، وبعض أصحابه، فالفتح الإسلامي لم يعزّبها، إنما عزّز عروبتها.

وكانت غزة أول مدينة فلسطينية فتحها المسلمون على يد عمرو بن العاص (634م)، وأنشؤوا فيها مركزاً لمراقبة السواحل، واستوطنها عدد كبير من رجالاتهم وأسراهم التي وفدت مع الفاتحين، فنبغ فيها عدد كبير من أهلها في الأدب، والشعر والفقه والفلسفة، حتى باتت بعد فترة قصيرة - كباقي الشام - عربية بعقالاتها ولغتها ونقودها، وكل شؤونها، ومن أشهر من وُلد وتوفي فيها الإمام (الشافعي) أحد الأئمة الأربعة في الإسلام، ولكن مع ضعف الدولة العباسية، واستقلال أمراء المناطق بالحكم، توالى على حكمها أمراء الدول المتتابعة من طولونية، وإخشيديّة وفاطمية وسلاجوقية، وكانت كغيرها نهبا للجيوش المتحاربة بين مصر والشام، حتى دخلها الصليبيون، ووطدوا أقدامهم فيها (1100م)، وأعادوا بناء قلعتها المتهدمة، وألحقوها بعسقلان، وزارها في هذه الحقبة الكثير من الحجاج والسائحين، فكتبوا عنها في مذكراتهم. وبعد انتصار الأمير صلاح الدين على الصليبيين في حطين (1187م) خضعت كباقي فلسطين للأيوبيين، ولكن بعد وفاته تنقلت بين أيدي الأمراء المتنازعين على الحكم، فعانت ويلات الحروب ودمارها. وحين آلت إلى المماليك في مصر سنة (1250م)، تولوا الدفاع عنها، ضد التتار، فحررها الأمير ركن الدين بيبرس، وقد نزل فيها مراراً، إن في حرب، وإن في قنص، واهتم بمساجدها وتعميرها.

غزة حكومة مستقلة

وفي عهد الملك قلاوون (1293م) أضحت غزة حكومة مستقلة، بعد أن كانت قرية من أعمال الرملة، لكنها عانت في هذه الفترة أيضاً من انتقال الحكم، وتغير القادة، وغارات القبائل من الصحراء، إضافة إلى معاناة سكانها من ضرائب تجبي، لتغطية نفقات الحروب، أو لبناء المساجد والمباني الفخمة. لكن الالفت أنها في هذه الفترة كانت من أهم مراكز البريد، يؤزّع البريد من أبراجها إلى مختلف الأصقاع. وكانت عملتها الدرهم، وقياس الأثقال بالرطل، والقماش بالذراع، والأرض بالفدان الإسلامي أو الرومي وظلت على هذه الحال حتى دخلها السلطان سليم العثماني غزواً عام (1501م)، ثم مرّ بها في رحلة العودة بعد غزوه لمصر، فعانى سكانها من جنده الترويع والقتل والنهب والسبي، وقطع الشجر في رحلتي الذهاب والإياب، وظلت مهملة، طيلة فترة السلاطين

فانتشرت فيها الفساد، وكثرت الضرائب والمكوس، وتولى حكمها في هذا العهد آل رضوان (1501م) وتوارثوه بينهم. وفي القرن الثامن عشر تعرضت لاجتياح الفرنسيين على يد نابليون الذي مر بها في طريقه إلى عكا، وفي عودته منها خاسراً مهزوماً، ذكر ذلك في مذكراته، ثم عادت لسلطة العثمانيين. وهكذا كانت غزة، كغيرها من البلاد لا تنجو من محتل، حتى يبطش بها آخر. وظلّ هذا حالها، إلى أن ينست الجماهير العربية من الإصلاح، ونمت بينهم رغبة بالتخلص من الحكم العثماني، بالتزامن مع سعي الإنكليز لاحتلال مصر والشام، فحاض الإنكليز معارك مع العثمانيين انتهت بسيطرة الإنكليز على غزة وباقي فلسطين، وغدت المدينة خراباً، بعد أن هجرها أهلها، وانتشروا في المدن والقرى المجاورة، ثم عادت واستردت عافيتها تحت الانتداب، وهي الفترة التي كتب فيها المؤلف هذا الكتاب، وتحدث عن مناطقها وأحيائها وبياتينها، ومواسيها، وأسواقها، ومساجدها، وقصورها، ومدارسها، ومصانعها، وشاطئها، وطبائع سكانها، وأزيائهم، وأعيادها، ومصادر دخل الأفراد، والمستوطنات اليهودية فيها، وأرفق إحصائيات دقيقة لكل ذلك.

تلك حكاية "غزة" التي سردها الكاتب ب 367 صفحة، غطى تاريخاً يربو على خمسين قرناً من الزمن. وشملت دراسته غزة المدينة، وما يحيط بها من قرى ومناطق ارتبطت بها تاريخياً وجغرافياً، بل اتسعت التغطية في كثير من الفترات، حتى شملت إقليمي سورية ومصر.

وبما أن المادة تاريخية، فمن الطبيعي أن تترايط الأحداث، وتتداخل الحدود الفاصلة بين قيام الكيانات وتبدلها؛ ولهذا عمل الكاتب في نهاية كل مرحلة تاريخية إلى الحديث عن بداية المرحلة التالية، قبل أن يخصص لها فصلاً مستقلاً، بحيث يشدّ رباط المراحل المتتالية، ويوثق عراها، فينعكس ذلك على انطباع القارئ بترايط الأفكار. أما طريقتة في عرض المادة، فهو يورد الآراء المختلفة، دون تدخل، ثم يختم كل إشكالية برأيه مشيراً إليه إشارة واضحة بالقول: "وعندي أن....". وقد دعم كتابه بصور توضيحية وإحصاءات عديدة دقيقة.

وتنتمي لغة الكتاب إلى تلك المرحلة من التأليف العربي (منتصف القرن العشرين)، مرحلة تجمع بين جزالة القديم ورشاقة الحديث، فعلى سبيل المثال لا الحصر، حين يورد أقوالاً شائعة لمجهولين يستخدم عبارة: "وعلى قول أن..." كما استخدم التاريخ الهجري تارة، والتاريخ الميلادي تارة أخرى. أما المصطلحات اللغوية، فتحمل أثر تلك الحقيقة أيضاً، من ذلك استعمال التسميات الإدارية آنخذ، ومنها استعمال كلمة (العربان)، للدلالة على البدو. ووثّق المؤلف معلوماته من مصادر ثلاثة: الأول الرّم والآثار، والثاني أمهات كتب التاريخ العربية، والتركية والإنكليزية والفرنسية، إضافة إلى ما اقتبس من مذكرات السائحين، وما ورد من أخبار العهد القديم التي تحدثت عن غزة، وأما المصدر الثالث، فكان الإحصاءات الكمية التي حصل عليها من مقامية غزة، وما حولها من أفضية، وهي إحصاءات في غاية الدقة والتفصيل.

وأرجع المؤلف أهمية غزة في جميع مراحل التاريخ لموقعها الجغرافي الواسل، بين الشام ومصر والجزيرة، وهي الآن تمثل خاصرة الوطن العربي، فهل يمكن لوطن أن يولد من الخاصرة؟!

هي ليست بنت قرن من القرون، أو وليدة عصر من العصور
إنما هي بنت الأجيال المنصرمة كلّها، ورفيقة العصور الفاتنة
جميعها، من اليوم الذي سطر فيه التاريخ صحائفه الأولى

يتكون المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة من ثلاثة هياكل تقليدية:

القبائل والعشائر، والعائلات المعروفة.

تتمتع العشائر (الحامولة) بالنفوذ الأكبر. فمن ناحية، خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية، والمواجهة بين حركتي "حماس" و"فتح"، شكلت عشائر غزة ميليشياتها الخاصة

واقصادها الظلي، وانخرطت في أنشطة غير شرعية، ودخلت في نزاعات بينية مسلحة. ومن ناحية أخرى، أسهمت في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي، من خلال توليها بعض مهام السلطة الفلسطينية الضعيفة.

وبعد استيلاء حركة "حماس" على السلطة في قطاع غزة عام 2007، قمع الإسلاميون المعارضة العشائرية، ووضعوا حداً لعنفها. ومع ذلك، تحتفظ بعض العشائر بنفوذها على المستوى المحلي، وتظل عاملاً اجتماعياً، وسياسياً هاماً.

وهكذا، أصبح النشاط العشائري الخطير، والواسع النطاق في قطاع غزة مثلاً آخر على الانحطاط، والتدهور الذي انتشر في مناطق عديدة من العالم العربي.

الملف

العشائر في الحياة السياسية لقطاع غزة

بقلم:

ألكسندر فلاديميروفيتش ديمتشينكو



ترجمة:

د. علي حافظ



في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وفي إطار النهج الكلاسيكي، تم توجيه انتباه علماء الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيين، الذين درسوا البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمعات غير الغربية، إلى علاقات القرابة، وآلية عمل الوحدات الاجتماعية المختلفة، والقواعد غير الرسمية التي تنظم سلوك أفراد مجتمع معين، وما إلى ذلك. ومع تسارع التحديث بعد انهيار النظام الاستعماري، لفت الباحثون انتباههم إلى مشكلة التفاعل بين التقليدي والحديث في الحياة الاجتماعية والسياسية. ونتيجة لذلك، وفي إطار التفسيرات "غير الكلاسيكية" للوحدات الاجتماعية، التي درسها علماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة، انتشرت على نطاق واسع رؤية العشائر، كتكوين اجتماعي خاص، والتي لا يرى فيه أي أساس عائلي (أو لا يعتبر ذا أهمية قصوى)، الأمر الذي يجعلها شكلاً مستقرًا من المساعدة المتبادلة في الظروف الاجتماعية غير المواتية الناشئة، خلال عمليات التحول المصاحبة لتحديث المجتمعات التقليدية [8: ص 121، ص 126].

إن نقطة الضعف في التفسيرات "غير الكلاسيكية" لمفهوم "العشيرة"، والتي لاحظها الباحث المحلي تش. ك. لاماغا، هي أن "الباحثين لا يميزون دائماً بين خصائص "العشائر" السياسية عندما يصنفون الفرق السياسية، والمجموعات الأوليغارشية، والزمر، والشركات على أنها عشائر، أي تلك الهياكل التي لا ينبغي تحديدها مع مجموعات من النوع التقليدي (المجمعي) مثل (العائلات والقبائل، والطوائف والمجموعات العرقية) [8: ص 129].

في هذا الصدد يقترح لاماغا العودة إلى الفهم التقليدي للعشيرة، استناداً إلى تعريف عالم السياسة البريطاني أندرو هيوود، الذي يحدد، من بين المجموعات العامة في السياسة، مجموعات من النوع التقليدي (المجمعي) مثل (الجماعات الطائفية)، "التي تنشأ على أساس هياكل المجتمع الطبيعية والثابتة تاريخياً: ببساطة، لا يتم إنشاء مثل هذه المجموعات لأي غرض من الأغراض، لا أحد يدعو، أو يقبل أي شخص فيها على وجه التحديد - فالإنسان يعيش فيها منذ لحظة ولادته...على عكس مجموعات المصالح العادية، التي يتم تحديد العضوية فيها، من خلال الاختيار الذاتي للشخص، فإن الجماعات الطائفية تعتمد على أصل مشترك وروابط ذات طبيعة تقليدية" [10: ص 335].

في مثل هذه المجموعات، تكون المساعدة المتبادلة والولاء ذات أهمية كبيرة، مما يخلق نظاماً معقداً من الالتزامات المتبادلة، عندما يتطلب من عضو العشيرة الذي حقق نجاحاً في المجال الخاص، أو في الخدمة العامة، الاستجابة لطلبات أولئك الذين يدين لهم بالدم. كما تشير إيرينا دونوفنا زفياجيلسكايا "في أي مجتمع، حتى الأكثر حداثة وديمقراطية، يختار الشخص الذي

**جمود المفاوضات
حول الوضع النهائي
للأراضي الفلسطينية،
وانتفاضة الأقصى، والأزمة
الداخلية للسلطة
الفلسطينية، أدت إلى
الصراع بين حركتي "فتح"
و"حماس"، وتقسيم شبه
الدولة الفلسطينية عام
2007 إلى الضفة الغربية
وقطاع غزة.**

**أصبح إحياء العشائر
على خلفية انتشار العنف
شكلاً من أشكال تكيف
الهياكل الباقية للمجتمع
التقليدي مع الأزمة
المتعددة الأبعاد في
منطقة الصراع الفلسطيني
الإسرائيلي**

ترافقت عملية تحديث بلدان العالم العربي في الآونة الأخيرة، بإضعاف للهويات التقليدية والروابط الاجتماعية. كذلك ترافق هذا الاتجاه الرئيسي بأمور عكسية، فقد اعتمدت النخب الاستعمارية، ومن ثم زعماء الدول المستقلة (مع كل التزامهم بفكرة بناء الأمة)، على استغلال إمكانات المجتمع التقليدي.. إن الحفاظ على "التشردم والطائفية والانقسامات الميراثية والأصولية الجديدة كان أيضاً عنصراً من عناصر الإستراتيجية الواعية للأنظمة، الذي سمح لها بالحفاظ على الاستبداد" [7]. في فلسطين، اكتسبت العلاقة بين الفئات الاجتماعية التقليدية، والسلطات سمات محددة، بسبب العملية المطولة، وغير المكتملة، للحصول على الاستقلال، وإنشاء مؤسسات دولة فعالة، والاحتلال الإسرائيلي، وتفتيت حركة المقاومة الفلسطينية، وطبيعتها الشتاتية المقسمة.

إن الاضطرابات المنتظمة المرتبطة بالحروب العربية الإسرائيلية والانتفاضتين الفلسطينيتين، وضعف الروابط الاجتماعية التقليدية بين اللاجئين، فضلاً عن التأثير الموحد القوي للصراع مع إسرائيل، تدفع الفلسطينيين إلى التغلب على التجزئة، وانتشار الإسلام السياسي الذي يميل بشكل سلبي نحو مظاهر الخصوصية - كل هذا دفع العشائر بشكل مستمر إلى الخلفية. ونتيجة لذلك، فشل ممثلو الجماعات التقليدية في فلسطين، كما حدث في العراق أو ليبيا، أو سوريا، أو اليمن على سبيل المثال، في أن يصبحوا عنصراً أساسياً في تشكيل النظام السياسي، والذي من شأن إزالته أن يؤدي إلى تدمير النظام القائم. ومع ذلك، فإن إمكانات المجموعات التقليدية في فلسطين التي كانت في حالة "خاملة" لفترة طويلة، تجلت في نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الحادي والعشرين على خلفية عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية، ومن ثم جمود المفاوضات حول الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية، وانتفاضة الأقصى، والأزمة الداخلية للسلطة الفلسطينية، التي أدت إلى الصراع بين حركتي "فتح" و"حماس"، وتقسيم شبه الدولة الفلسطينية عام 2007 إلى الضفة الغربية وقطاع غزة.

إذا كانت العشائر الفلسطينية في تسعينيات القرن الماضي مطالبة ببسط نفوذها، من قبل ياسر عرفات، وذلك لتعزيز سلطته، فإنها في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وفي سياق إضعاف مؤسسات الدولة وضعف المجتمع المدني، زادت من نفوذها وملأت الفراغ الناتج. وبهذا المعنى، أصبح إحياء العشائر على خلفية انتشار العنف شكلاً من أشكال تكيف الهياكل الباقية للمجتمع التقليدي مع الأزمة المتعددة الأبعاد، في منطقة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والتي كانت مثلاً آخر على الانحطاط في المجتمعات العربية الحديثة.



والإسلامية. يعد هذا الاختيار لموضوعات البحث رداً معقولاً على الأحداث التي تجري في منطقة المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية، حيث تمت دراسة المجموعات التقليدية في المجتمع الفلسطيني بشكل أكبر، على أساس مواد عرب إسرائيل، لأن الملاءمة والأهمية التطبيقية لدراسة الأقليات في دولة ذات طبيعة صهيونية يهودية أمر مفهوم تماماً [17: 22: 29]. وفي الوقت نفسه، تحتفظ البنية الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة بسمات تقليدية، باعتبارها ليست استثناء في الصورة الشاملة للعالم العربي.

نظام المحسوبية

تظل العشائرية أحد المكونات المهمة في هذا التسلسل الهرمي، فهي تعتمد على علاقات الراعي والذبون بين أفرادها، مفترضة أن يقدم الأشخاص الأدنى في هذا التسلسل الهرمي الاجتماعي الولاء لرؤسائهم، مقابل الحماية وجميع أنواع المساعدة.

تاريخياً، شكل نظام المحسوبية جزءاً لا يتجزأ من العلاقات الاجتماعية والسلطوية في فلسطين، التي كانت واحدة من الأجزاء المتخلفة في العالم العربي، في ظل الإمبراطورية العثمانية، ومن ثم أثناء حكم الانتداب البريطاني.

تمثلت الهياكل الاجتماعية التقليدية الفلسطينية بالقبائل البدوية (القبائل)، والعائلات الحضرية البارزة ذات النفوذ (العائلات)، والعشائر الجماعية (الحامولة). ويمكن تعريف هذه الأخيرة بأنه تكتل من عشائر ومئات الأسر الكبيرة. ويختلف تأثير كل عنصر من عناصر البنية الاجتماعية التقليدية الثلاثة على الوضع في فلسطين ومناطقها، ويتغير دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية باختلاف المراحل.

وهكذا، فإن البدو الرحل الذين سكنوا المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية في جنوب فلسطين، كانوا على الهامش لعدة قرون. فمن ناحية، ارتبطوا بالسكان الفلسطينيين الزراعيين المستقرين، من خلال علاقات تجارية وتبادلية متبادلة المنفعة، ومن ناحية أخرى كانوا، وهم المولعون بالحرب والمحبون للحرية عاملاً محتملاً لزعزعة الاستقرار، بالنسبة للعثمانيين، ولسلطات الانتداب البريطاني في ما بعد.

كانت العائلات المعروفة في المدينة، بمثابة دعم للسلطات، لكن تراجع نفوذها إلى حد ما خلال فترة الانتداب، حيث باتت السيطرة البريطانية على الوضع في فلسطين أكثر إحكاماً، مما هو عليه في السنوات التي كانت فيها فلسطين جزءاً من ولايتي دمشق، وبيروت، وسنق القدس التابع للإمبراطورية العثمانية.

أما العنصر الثالث - الحامولة - فهو ذو أهمية كبيرة، سواء من حيث اتساع نطاق تغطية السكان الفلسطينيين، أو في ما يتعلق بتعزيز تأثيرهم على الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في نهاية القرن العشرين، وأوائل القرن الحادي والعشرين.

تحتفظ البنية الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة بسمات تقليدية، باعتبارها ليست استثناء في صورة العالم العربي.

شكل نظام المحسوبية جزءاً لا يتجزأ من العلاقات الاجتماعية والسلطوية في فلسطين، في ظل الإمبراطورية العثمانية، ومن ثم أثناء حكم الانتداب البريطاني.

تمثلت الهياكل الاجتماعية التقليدية الفلسطينية بالقبائل البدوية (القبائل)، والعائلات الحضرية البارزة ذات النفوذ (العائلات)، والعشائر الجماعية (الحامولة).

حصل على السلطة مساعديه، ويشكل بينته على أساس موثوقية رؤوسيه أو شركائه. ومع ذلك، فإن الفرق يكمن: أولاً: في حقيقة أنه ليس لديه التزامات تجاههم تؤثر بشكل أساسي على حريته في الاختيار.

ثانياً: إنه أقل التزاماً بحمايتهم، في حالة عدم الكفاءة والأمية، وغيرها من الصفات غير المناسبة للقائد " [5: ص 181].

عند دراسة العمليات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، يهتم الباحثون بليبيا القذافي، وعراق صدام، ودول الخليج العربي والأردن والمغرب، حيث ارتبطت المجموعات التقليدية بالنظام الإداري، والأجهزة العسكرية والأمنية، مما ضمن استقرار الدولة ودعم النظام، وعزز شرعيته من خلال توزيع الموارد، وتوفير الوصول إلى السلطة. تجدر الإشارة إلى أن مثل هذا النموذج يتمتع بهامش أمان محدود، كما يتضح من الحروب الأهلية في العراق وسوريا وليبيا واليمن، عندما عارضت الجماعات غير الراضية عن وضعها السلطات، في ظل ظروف نقص الموارد والنفوذ الخارجي.

غالباً ما يلاحظ علماء السياسة، ونشطاء حقوق الإنسان [13: ص 145-146: 32: ص 82] الجوانب السلبية للعشائرية السائدة، مع التركيز على حقيقة أن الانتماء إلى العشائر الأبوية يعيق تحرر المرأة، وقييد الشباب، ويحد من المبادرة الشخصية، والمنافسة في سوق العمل، حيث تأخذ الصفات المهنية أهمية ثانوية مقارنة بالولاء لأبناء القبائل.. تستبدل العشائر مؤسسات الدولة والقانون الرسمي بأعراف غير رسمية، وتميل إلى اللامشرعية، معتبرة هذا النشاط مقبولاً تماماً، على الرغم من أنه ليس النشاط الرئيس، لأنه يتم تنفيذه لصالح المجتمع، ويساعد على تعزيز مكانته في ظروف المنافسة الشرسة على الموارد الاقتصادية المحدودة. وفي نهاية المطاف، فإن هذا يعيق تطور الديمقراطية، خاصة، وإن الحكومة تسعى إلى استخدام العلاقات بين الراعي والذبون، لتعزيز سلطتها.

ومن أجل اكتمال الصورة وموضوعيتها، من الضروري إضافة أن العشائر والقبائل التي تمر بأزمات وأوضاع ميئوس منها توفر لأفرادها الفرص اللازمة، للبقاء على خلفية المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وعدم الاستقرار السياسي، وتبين أنها ذات أهمية حاسمة، بالنسبة لجزء كبير من السكان.

وأخيراً، تحمل مدونة قواعد السلوك التقليدية القيم الإيجابية المتمثلة في العلاقات الأسرية القوية، والروابط بين الأجيال، والمساعدة المتبادلة، واحترام الماضي التاريخي [2].

أما في ما يتعلق بفلسطين، وعلى الرغم من أن موضوع الجماعات التقليدية قد تم العمل عليه، إلا أنه ظل على مدى عقود محجوباً بمشاكل أخرى: الصراع العربي الإسرائيلي، وعملية السلام، واللاجئون الفلسطينيون، وتشكيل هوية قومية فلسطينية مشتركة، وأنشطة المنظمات الفلسطينية العلمانية



زعماء قبيلة الترابيين في بنر السبع

تاريخياً، كان بدو قطاع غزة جزءاً من مجموعة بدوية واسعة غطت شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين، وأراضي شرق نهر الأردن.

أدى الانتقال المفاجئ لنمط حياة مستقر إلى إضعاف الروابط الاجتماعية التقليدية، وتقليص دور القبائل في الاقتصاد، وانخفاض وزنها السياسي الضعيف أصلاً. وفقاً لهذه المعايير، فإن البدو الفلسطينيين هم أدنى بكثير من نظرائهم في البلدان المجاورة، كالمملكة العربية السعودية والأردن وسوريا [27: ص 2-1]. وعلى الرغم من تضائل الاختلافات في نمط الحياة بين البدو السابقين، وبقية سكان قطاع غزة، ظل هناك عامل مهم من عوامل الاغتراب تمثل في الاعتقاد السائد بين الفلسطينيين بأن البدو متعاونون [33]. ويستند هذا التحيز إلى حقيقة أن البدو، الذين بقوا في إسرائيل يخضعون للخدمة العسكرية التطوعية في جيش الدفاع الإسرائيلي، بما في ذلك كجزء من كتيبة التعقب البدوية التابعة لـ "لواء جفعاتي" المتمركز في المنطقة العسكرية الجنوبية، والذي شارك في العمليات القتالية ضمن قطاع غزة [1]. وبالتالي، فإن دور البدو في الحياة الاجتماعية والسياسية لقطاع غزة لا يذكر، ولكن لا يمكن تجاهل حقيقة أن عزل وانفصال ربع سكانه عن السياسة هو أحد العوائق أمام احتكار "حماس" للسلطة في القطاع.

تحتفظ عائلات النخبة بنفوذ وسلطة معينة في فلسطين، يعود تاريخها إلى زمن المماليك والعثمانيين، عندما ظهرت طبقة من النخبة المحلية في مدن المحافظات: أصحاب العقارات الحضرية، والتجار، وملوك الأراضي الأثرياء الغائبين، ورجال الدين، والقادة العسكريين، الذين عملوا كوسطاء بين العثمانيين، وبعدهم سلطات الانتداب، وبين السكان المحليين. وتشمل هذه عائلات الحسيني، النشاشيبي، الدجاني، عبد الهادي، طوقان، النابلسي، خوري، التميمي، الخطيب، الجعبري، كنعان، الشكعة، البرغوثي، الشوا، الرئيس وغيرهم... كان ممثل عائلة الحسيني يشغل تقليدياً منصب مفتي القدس!

لعبت عائلات النخبة هذه دوراً بارزاً خلال فترة الانتداب، عندما قاد الحاج أمين الحسيني مقاومة الهجرة اليهودية والحركة الصهيونية، وكذلك السلطات البريطانية التي تغاضت عنهما.

الحسيني، الذي أثار الانتفاضة العربية في 1936-1939، طرد من فلسطين، ودخل في خدمة سلطات ألمانيا النازية. بعد عودته من أوروبا إلى مصر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، دعا إلى إنشاء دولة عربية فلسطينية موحدة ومستقلة.

أدت إخفاقات القوات الفلسطينية، خلال الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، وإحجام المجتمع الدولي عن التعامل مع شريك هتلر السابق إلى تقويض تأثير عائلة الحسيني بشكل خطير... هذا لا يعني انسحاب الوجهاء من السياسة الفلسطينية، بل على العكس من ذلك، دعمت عائلات النشاشيبي وطوقان والخالدي أمير شرق الأردن، الذي ضم الضفة الغربية والقدس الشرقية في عام 1950.

المجموعات التقليدية الطرفية: البدو والعائلات النبيلة

على الرغم من أعدادهم الكبيرة (25% من السكان)، فإن وجود البدو في قطاع غزة لا يكاد يكون ملحوظاً في الساحة السياسية. تتحد القبائل المحلية في ستة اتحادات، وتحتل بشكل رئيسي الأجزاء الجنوبية والوسطى من المنطقة. وتعتبر أكبر القبائل هناك الخناجرة والترابين، وأضعفها هي قبيلتنا (أبو حجاج وأبو ظاهر)، اللتان فقدتا أراضيهم، عندما نزح أفرادهما من إسرائيل عام 1948.

تاريخياً، كان بدو قطاع غزة جزءاً من مجموعة بدوية واسعة غطت شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين، وأراضي شرق نهر الأردن. كانت المهنة الرئيسية للبدو الرحل في الماضي هي تربية الماشية، أو السرقة، أو مرافقة القوافل التجارية والحجاج المتجهين إلى الحج مقابل أجر.

اعتبرت السلطات العثمانية حب البدو للحرية تهديداً لسلطتها واستقرارها في المنطقة. اتخذ السلطان عبد الحميد (1876-1909) في نهاية القرن التاسع عشر عدداً من الإجراءات، لوضعهم تحت سيطرة السلطات. بدأ بإعادة توطين الشراكسة الموالين للإمبراطورية في فلسطين، مما خلق ثقلًا موازنًا للبدو الرحل، وبعد ذلك عمل على نقلهم إلى نمط حياة مستقر من خلال تأسيس مدينة بيروسيبي (الآن بنر السبع) في صحراء النقب عام 1900.

لقد أثمرت أنشطة السلطات العثمانية، وتم تجنب مقاومتهم بشكل جاد، فخلال الحرب العالمية الأولى، شاركت القوات البدوية في المعارك ضد البريطانيين، إلى جانب الأتراك الذين حاولوا السيطرة على قناة السويس. واصلت سلطات الانتداب البريطاني سياسات أسلافها، ولكن دون ضغوط كبيرة [18: ص 5-7]. ترك معظم البدو مواطنهم خلال الحرب العربية الإسرائيلية الأولى 1948-1949، مثل غيرهم من العرب الفلسطينيين، وانتقلوا إلى الأردن بما في ذلك الضفة الغربية، وإلى شبه جزيرة سيناء في مصر، وإلى قطاع غزة الذي سيطرت عليه الإدارة المصرية، حيث تبين أن نسبة اللاجئين بين البدو مرتفعة للغاية، فمن بين 70-90 ألف بدوي، الذين كانوا السكان الوحيدين تقريباً في صحراء النقب، خلال فترة ما قبل الحرب، بقي حوالي 10 آلاف شخص منهم في وطنهم [30: ص 108-109]. إن عزل البدو في غزة عن أماكن تواجدهم البدوية، إلى جانب التدفق الهائل للاجئين الفلسطينيين، حول القطاع إلى منطقة مكتظة بالتحضر الزائف، مما جعل من المستحيل استمرار العيش في أسلوب الحياة البدوية.

في الوقت الحاضر، لا يعمل سوى جزء صغير من البدو في تربية الماشية، ويحتفظون بالإبل بشكل أساسي كرمز لهويتهم، ولأن حليبهم يمتلك قيمة كبيرة لخصائصه العلاجية [11].

إن دور البدو في الحياة الاجتماعية والسياسية لقطاع غزة لا يذكر، ولكن لا يمكن تجاهل حقيقة أن عزل وانفصال ربع سكانه عن السياسة هو أحد العوائق أمام احتكار حماس للسلطة في القطاع.

إن البدو الفلسطينيين هم أدنى بكثير من نظرائهم في البلدان المجاورة كالمملكة العربية السعودية والأردن وسوريا



يُطلب من أعضاء العشيرة الالتزام بقواعد سلوكية معينة تعتمد على المساعدة المتبادلة، وأي انحراف عن هذه القواعد يجلب العار للمخالف. يمكن أن تؤدي الاشتباكات البسيطة بين العشائر إلى صراعات دموية تستمر لسنوات، حيث يتم حلها عن طريق لجان الصلح. تحظى خدمات الوسطاء بشعبية كبيرة مقارنة بالمحاكم الرسمية غير الفعالة، وهي تعتبر أرخص أو حتى مجانية، كما توفر حلاً سريعاً للمشاكل. تختلف العشائر بشكل كبير بعدد الأعضاء: من عدة عشرات وعدة مئات إلى 10-12 ألف. يعتبر رئيس العشيرة هو المختار، لكنه لا يتخذ القرارات بشكل فردي، ويراعي آراء المشاركين في مجلس العشيرة (الديوان) [26: ص 6، ص 27، ص 2].

ظل وضع العشائر في فلسطين مستقراً نسبياً لفترة طويلة، حيث كانت الحامولة وحدة شعبية مهمة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتشكل أساس المجتمع حتى منتصف القرن العشرين.. لقد وجدت لغة مشتركة مع السلطات العثمانية، ومن ثم مع الإدارة البريطانية. إلا أن حرب 1948-1949، التي صاحبها نزوح مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين، خلقت واقعاً جديداً في منطقة غزة.

وصل 210 آلاف لاجئ، معظمهم من المناطق الريفية، إلى منطقة صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالي 70 ألف نسمة. ولأسباب واضحة، لم يتمكنوا من الحفاظ على الروابط التقليدية بنفس القدر، لتصبح الأسرة أساس تنظيمهم الاجتماعي. على سبيل المثال، يوجد في مخيم البريج، في الجزء الأوسط من قطاع غزة، 4627 عائلة تتحد تقريباً في 718 مجموعة قرابة. تشكل عائلة عيسى أكبر مجموعة، حيث توجد 107 أسرة. في حين تعتبر ثلث العائلات معزولة بشكل عام، ولا يوجد لديها أقارب بين سكان المخيم.

إذا كان أفراد القبائل والعشائر يميلون إلى الاستقرار في أحيائهم الخاصة، فإن هذا لا يبدو واضحاً في مخيمات اللاجئين. لقد أدى تدفق اللاجئين إلى توحيد السكان الأصليين وتعزيز تضامنهم العشائري.

حالياً، يشكل السكان الأصليون حوالي 25 % من سكان القطاع (مواطنون بالمصطلحات المحلية)، في حين أن البقية هم من اللاجئين أو أحفادهم. الخط الفاصل بين المجموعتين السكانييتين في هذا القطاع واضح للغاية، وحالات الزواج المختلط نادرة جداً [31: ص 1-4].

لم تساهم العوامل الداخلية في تسهيل الحفاظ على الروابط العشائرية فحسب، وإنما أيضاً سياسات السلطات الإسرائيلية، بعد احتلال قطاع غزة نتيجة حرب عام 1967. دعم الإسرائيليون المخاتير المحليين المحافظين الذين كان لديهم ما يخسرونه كقوة موازنة للاجئين الذين نشرت "منظمة التحرير الفلسطينية" المتعنتة نفوذها بينهم. ومع ذلك، ضعف تأثير العشائر تدريجياً.

تواجد عدد قليل من عائلات النخبة في غزة، وكانت عائلات الشوا والريس الأكثر تأثيراً، حيث شكلتا جزءاً من النخبة الإدارية في الخمسينيات والستينيات عندما خضع القطاع لسيطرة مصر

الدور الحاسم في إضعاف مواقف العائلات حول نشطاء المنظمات القومية الفلسطينية للمقاومة في الستينيات محل الجيل القديم من القادة شبه الإقطاعيين.

يعتبر رئيس العشيرة هو المختار، لكنه لا يتخذ القرارات بشكل فردي، ويراعي آراء المشاركين في مجلس العشيرة السعودية والأردن وسوريا

لكن بشكل عام، انخفض تأثير القادة السابقين الذين قاتلوا ضد الصهيونية دون جدوى، إضافة إلى فقدانهم بعض ممتلكاتهم نتيجة للاحتلال. ومع ذلك، ظلت خبرتهم وسلطتهم وعلاقاتهم مطلوبة.

خلال الفترة 1948-1967 التحق العديد من الوجهاء الفلسطينيين بالخدمة الملكية الأردنية، وبعد عام 1967 تمتعوا بمعاملة تفضيلية من إدارة الاحتلال الإسرائيلي، وحافظوا على علاقاتهم مع الهاشميين الأردنيين بنفس الوقت.

تواجد عدد قليل من عائلات النخبة في غزة، التي كانت قبل تدفق اللاجئين الفلسطينيين منطقة ضئيلة مقارنة بمناطق أخرى من فلسطين. كانت عائلات الشوا والريس الأكثر تأثيراً، حيث شكلتا جزءاً من النخبة الإدارية في الخمسينيات والستينيات عندما خضع القطاع لسيطرة مصر. وبعد حرب 1967، واصلت إسرائيل الاعتماد عليهم، لكن منذ أواخر السبعينيات، أدت السياسات المتناقضة لسلطات الاحتلال، التي صادرت أراضي مملوكة للعائلات لبناء المستوطنات اليهودية، إلى تراجع نفوذها. وقد لعب الدور الحاسم في إضعاف مواقف العائلات حقيقة أنه في الستينيات، حل نشطاء المنظمات القومية الفلسطينية للمقاومة المناهضة للصهيونية محل الجيل القديم من القادة شبه الإقطاعيين. وكان الممثلون النموذجيون لجيل الشباب هم مؤسسو فتح (ياسر عرفات، صلاح خلف، أبو جهاد، محمود عباس، وغيرهم)، الذين تلقوا تعليماً حديثاً، وتبنوا الأفكار العلمانية للقومية العربية، وفي الشتات فقدوا إلى حد كبير الروابط الاجتماعية التقليدية.

تحسن وضع الوجهاء في التسعينيات، بعد إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية، حيث قررت السلطات الجديدة، مثل كل السلطات السابقة، حشد دعمهم، خاصة وإن ياسر عرفات كان بحاجة إلى نوع من التوازن أمام نشطاء "فتح" المحليين الشباب الذين ظهروا خلال سنوات الانتفاضة المناهضة لإسرائيل. ومع ذلك، في بداية القرن الحادي والعشرين، وعلى خلفية أزمة الحكم الذاتي الفلسطيني، حلت أوقات عصيبة على تلك العائلات مرة أخرى.

دمج عشائر قطاع غزة في السلطة الفلسطينية

كما لوحظ سابقاً، فإن العشائر الكبيرة هي العنصر الأكثر أهمية في البنية الاجتماعية التقليدية لقطاع غزة.. هم ينحدرون من سلف مشترك في خط الذكور يعود إلى خمسة أو ستة أجيال، على الرغم من أن هذا النسب قد لا يكون حقيقياً بالضرورة.

تتكون الحامولة من عدة بيوت (بيت)، متحدة في عائلات كبيرة (عائلة)، تضم رب الأسرة وأبناءه، وزوجاتهم وأطفالهم، بالإضافة إلى النساء غير المتزوجات. تقوم العشائر بالزواج الداخلي والخارجي، فإذا تزوجت امرأة من أحد أفراد عشيرة أخرى، يتغير انتماؤها العشائري أيضاً.



خلال الانتفاضة الأولى 1987-1991، وجدت العشائر نفسها في وضع صعب، حيث تبين أن نموذج التعايش وحتى التعاون بين النخبة العشائرية والسلطات - سواء كانت الإدارة العثمانية أو البريطانية، أو المصرية، أو الإسرائيلية - لم يطالب به أحد في ظل ظروف الانتفاضة.

تطابقت مصالح النخبة العشائرية، والجناح الخارجي لـ "فتح" وبعد التوقيع على "إعلان المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي" عام 1993، و"اتفاقية غزة أريحا" عام 1994 التي أرست أسس تشكيل الحكم الذاتي الفلسطيني، حدث تقارب بين إدارة عرفات وعشائر غزة.

من قادة الانتفاضة المحليين فحسب، بل لأنهم قادة غير رسميين موالين ومؤثرين، لكنهم سعوا أيضاً، من خلال المخاتير، إلى السيطرة على ذلك الجزء من سكان القطاع الذي لم يكن متصلاً بالروابط العشائرية، أي اللاجئين وأحفادهم. ولهذا الغرض، تم إنشاء "مكتب شؤون القبائل" في عام 1995.

كان على كل ساكن في غزة أن يلتصق بهذه العشيرة أو تلك، التي أصبح زعيمها الآن ممثلاً لمصالحه، ومجرد وسيط بين المواطن العادي والسلطات. على سبيل المثال، أصبح الحصول على بطاقة الهوية ممكناً فقط بمساعدة المختار!

دعمت السلطات استخدام القواعد القانونية العشائرية غير الرسمية (العرف) على حساب الممارسة القانونية الرسمية، والتي شملت الصلح (احتفال للمصالحة بين الأطراف المتنازعة)، والدية (التعويض الذي يدفعه مرتكب الجريمة)، والوجاهة (مؤسسة الوساطة). وبهذا الشأن، أدى انتشار القواعد القانونية العشائرية إلى قيام دوائر السلطة الوطنية الفلسطينية بدفع تعويضات لموظفيها الذين أدانته المحاكم العشائرية بارتكاب انتهاكات معينة، ضد أعضاء الحامولة [31: ص 4-5].

الاقتصاد العشائري

قامت العشائر بحل قضايا العمل الزراعي المشترك على الأراضي التي في حوزتها، حتى في عهد الدولة العثمانية. وشملت هذه الفئة معظم الأراضي الخصبة، باستثناء الأراضي الخاصة (الملك) وأراضي الدولة (الميري). مع اعتماد قانون الأراضي العثماني لعام 1858، وقوانين الأراضي في فلسطين الانتدابية، ومن ثم خلال سنوات الاحتلال الإسرائيلي، فقدت العشائر تدريجياً حقها في الأرض [27: ص 3-4].

ومع ذلك، فإن تأثير أبناء العشائر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لا يزال قائماً، حتى يومنا هذا، حيث أعادوا توجيههم نحو النشاط التجاري، ويعملون إما كأصحاب أعمال، أو كرعاة لها. وبالنظر إلى أن 95 % من الأعمال الخاصة في قطاع غزة تقع في أيدي العائلات، فمن الصعب المبالغة في تقدير دور العشائر الاقتصادي على حد تعبير الفلسطينيين. وهكذا، تقوم عشيرة المصري بزراعة الفراولة، لتصديرها إلى الجزء الشمالي من الجيب، كما تقوم عشيرة أبو النجا بزراعة الزهور. وتمتلك عشيرة البكر أسطول صيد صغيراً في ميناء غزة. وعن طريق عشيرة دغمش يتم التهريب من مصر عبر أنفاق تحت الأرض إلى قطاع غزة وغيرها.

تُنشئ العشائر الكبيرة نوعاً من صناديق الأموال الاحتياطية، حيث يتركز الدخل من مصادر مختلفة (نشاط ريادة الأعمال، ومساهمات أفراد العشيرة الذكور، والتحويلات المالية من العمال المهاجرين) [20: ص 6-7]. يتم إنفاق أموال الصناديق على احتياجات العشيرة، بما في ذلك مساعدة أبناء القبائل الفقراء!

الفلسطيني" عام 1996، والمجالس البلدية، ووجدوا وظائف في قوات الأمن. أصبحت العشائر مؤثرة جداً على مستوى الحكومة المحلية، وكذلك في بعض الإدارات، حيث شغل ممثلوها مناصب رفيعة المستوى، وظلوا مخلصين لمصالح العشيرة.

يمكن اعتبار مسيرة ممتاز دغمش، أحد أفراد عشيرة دغمش، من الأمثلة المهمة على قدرة الاستفادة من التعاون الظرفي مع السلطات: كان موظفاً في جهاز الأمن الوقائي

في تسعينيات القرن الماضي، وفي بداية "الانتفاضة الثانية" ترك الخدمة المدنية مع زملائه، وأبناء العشيرة مع جمال أبو سمهدان، العضو السابق في "التنظيم" (الجناح العسكري لـ "فتح")، وشارك في إنشاء "لجان المقاومة الشعبية" في قطاع غزة، التي عارضت الخط الوسط الذي اتخذته السلطة الوطنية الفلسطينية تجاه إسرائيل [15].

ويمكن توضيح تغلغل أفراد العشيرة في الهيئات الإدارية، من خلال الأمثلة التالية: حظيت عشيرة المصري من بيت حانون بمكانة جيدة في مديرية المخابرات العامة التي كان يرأسها اللواء محمد المصري، وعشيرة حلس في قوات الأمن الوطني بقيادة العميد سليمان حلس، وكان العميد (عادل حلس) مسؤولاً عن إدارة البحث الجنائي. كما كان لعشائر غزة الأخرى - كفارنا، وأبو حسنين، وأبو سمهدانة - وزن كبير في قوات الأمن [20: ص 7].

خلال الانتخابات البرلمانية عام 1996، تعاونت العشائر بشكل رئيسي مع "فتح"، فقد نص التشريع الانتخابي للسلطة الوطنية الفلسطينية على التصويت ليس للأحزاب، وإنما للأفراد المرشحين في دوائر انتخابية محددة.

كقاعدة عامة، يصوت أفراد العشائر كتلة واحدة، ويدعمون مرشحاً محدداً يحظى بدعم النخبة العشائرية، معتبرين مثل هذا السلوك الانتخابي واجبهم الأخلاقي. وكلما زاد عدد العشيرة، زادت الامتيازات التي يمكنهم الحصول عليها من السلطات مقابل أصواتهم.

في دوره، كان دعم العشائر في كثير من الأحيان شرطاً أساسياً لفوز المرشحين الموالين للحكومة.

دخل ممثلو العشائر إلى البرلمان إما كمرشحين لفتح، أو كمستقلين. وبالتالي، فإن معظم النواب المستقلين البالغ عددهم 33 نائباً ينحدرون من عشائر كبيرة ليست لاجئة. في هذا الصدد، اعترف مروان البرغوثي، أحد قادة "فتح" الشباب في الانتفاضة، بأن السلطات استخدمت الانتخابات البرلمانية لتعزيز العلاقات متبادلة المنفعة مع عائلات الوجهاء والعشائر الفلسطينية [19: ص 353].

لم تنظر سلطات السلطة الوطنية الفلسطينية إلى النخب العشائرية باعتبارهم ثقلاً موازناً للجيل الأصغر

كان معظم اللاجئين متعاطفين مع "فتح" وغيرها من التنظيمات. وتمكن بعض الفلسطينيين، الذين يمارسون الأعمال التجارية في غزة، أو يعملون في الخارج، من تكوين ثروة، والتنافس مع زعماء العشائر الأثرياء [20: ص 6].

خلال الانتفاضة الأولى 1987-1991، وجدت العشائر نفسها في وضع صعب، حيث تبين أن نموذج التعايش وحتى التعاون بين النخبة العشائرية والسلطات - سواء كانت الإدارة العثمانية أو البريطانية، أو المصرية، أو الإسرائيلية - لم يطالب به أحد في ظل ظروف الانتفاضة.

في المقام الأول، تم إنشاء خلايا محلية لمختلف التنظيمات الفلسطينية، مثل "فتح" و"لجان المقاومة الشعبية" و"حماس" و"الجهاد الإسلامي"، وكان الجزء الأكبر من المشاركين في الانتفاضة من اللاجئين الذين استقروا في قطاع غزة. لم تكن أفعالهم موجهة ضد إسرائيل فحسب، بل أيضاً ضد عدد من زعماء العشائر المشتبه في تعاونهم مع المحتلين؛ مما أدى إلى مقتل عشرة منهم متهمين بالتعاون مع العدو [31، ص 4].

وكان تعزيز مواقف الناشطين المحليين الذين نجوا من الاحتلال الإسرائيلي، وتحملوا وطأة الانتفاضة على أكتافهم، يشكل تحدياً ليس فقط لنفوذ زعماء العشائر، بل وأيضاً سبب قلقاً لعرفات وحاشيته. وكان من المهم لقيادة "فتح" الخارجية ألا تفقد نفوذها في الأراضي المحتلة، وأن تؤكد حقها في قيادة "منظمة التحرير الفلسطينية"، وأن تحد من طموحات نشطاء الانتفاضة الشباب.

تطابقت مصالح النخبة العشائرية، والجناح الخارجي لـ "فتح"، وبعد التوقيع على "إعلان المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي" عام 1993، و"اتفاقية غزة أريحا" عام 1994 التي أرست أسس تشكيل الحكم الذاتي الفلسطيني، حدث تقارب بين إدارة عرفات وعشائر غزة. وذكرت هذه العملية بالتعاون بين عائلات الوجهاء الفلسطينيين، وقيادة السلطة الوطنية الفلسطينية، الذي بدأ في السنوات نفسها، وللأسباب نفسها. إضافة إلى ذلك، أعطت العشائر الأولوية لـ "فتح"، لأن التعاون مع المنظمة القيادية يعد بأكثر الامتيازات.

أرادت حركة ياسر عرفات بدورها استقطاب أبناء العشائر، ضمن الهيئات الحكومية، من أجل تعزيز نفوذها على الأرض، وأصبح مسؤولو الحامولة موظفين حزبيين، وتم انتخابهم لعضوية "المجلس التشريعي

تمكنت العشائر من الحفاظ على مواقعها وتعزيزها،

في بداية القرن الحادي والعشرين. وقد تحول الحامولة بعد أن تولى أفرادها بشكل متزايد وظائف مؤسسات الدولة، وأنشؤوا أيضاً وحدات مسلحة.

سارع زعماء العشائر للرد على تراجع نفوذ رام الله بعد وفاة عرفات،

وبدؤوا في التقرب من الإسلاميين. لم يكن ذلك يعني إعادة توجيه العشائر نحو "حماس"، ولم يملِه التعاطف الإيديولوجي، بل كان بالأحرى تنويعاً عملياً للعلاقات، ومحاولة للبحث عن رعاة جدد وواعدين.

كان للأزمة السياسية والاقتصادية التي شهدتها السلطة الوطنية الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى 2000-2004، والتي تفاقمت بسبب الحصار الإسرائيلي لقطاع غزة بعد عام 2007 بسبب صعود حركة "حماس" إلى السلطة، تأثير مزدوج على أنشطة العشائر في المجال الاجتماعي والاقتصادي، فمن ناحية أصبح التضامن العشائري أحد السبل القليلة، لبقاء الفلسطينيين على قيد الحياة (إلى جانب المساعدات من المنظمات الدولية والمؤسسات الإسلامية التي تسيطر عليها "حماس"). ومن ناحية أخرى، وفي ظل ظروف العزلة، تضاءلت القدرات المالية للعشائر، مما دفعها في كثير من الأحيان نحو ممارسة الأعمال غير الشرعية. وهكذا، كانت مصادر الربح الإضافي هي سرقة السيارات، وتحصيل الديون، وفدية الأجانب المختطفين، والاتجار بالأسلحة والمخدرات، والتوسع في التهريب، وتصنيع الصواريخ، لبيعها إلى المقاتلين الفلسطينيين [23: 24].

العشائر في سياق انتفاضة الأقصى

إضعاف السلطة الوطنية الفلسطينية

تمكنت العشائر من الحفاظ على مواقعها وتعزيزها، في بداية القرن الحادي والعشرين. وقد تجلّى تحول الحامولة في حقيقة أن أفرادها قد تولوا بشكل متزايد وظائف مؤسسات الدولة، وأنشؤوا أيضاً وحدات مسلحة. ظلت العشائر في ذروة قوتها، وتتصرف بطريقة مماثلة، رغم أنها غير متحدة مع بعضها بعض في الفترة الممتدة منذ بداية الانتفاضة الثانية عام 2000، وبعد وفاة ياسر عرفات عام 2004، مروراً حتى استيلاء "حماس" على السلطة في قطاع غزة عام 2007. كان هذا وقت فراغ السلطة الأعظم في فلسطين، وانتشار الفوضى، وتصاعد العنف الناجم عن ضعف السلطة الفلسطينية، بسبب الانتفاضة، ووفاء زعيم فتح ذي الشخصية الكاريزمية الذي تصرف، ضمن نظام الأبوية الجديدة الذي بناه باعتباره الحكم الأعلى بين مراكز السلطة المتنافسة. وقد تفاقم الوضع، بسبب إخلاء المستوطنات اليهودية والعسكريين من قطاع غزة، الأمر الذي ساهم، مع ذلك، في تعزيز ليس فقط سلطة الحامولة، ولكن أيضاً "حماس".

سارع زعماء العشائر للرد على تراجع نفوذ رام الله، وبدؤوا في التقرب من الإسلاميين. لم يكن ذلك يعني إعادة توجيه العشائر نحو "حماس"، ولم يملِه التعاطف الإيديولوجي، بل كان بالأحرى تنويعاً عملياً للعلاقات، ومحاولة للبحث عن رعاة جدد وواعدين.

وفي المقابل، كان الإسلاميون يأملون في إزاحة "فتح" في مجال السياسة العشائرية وإيجاد حلفاء ظرفيين جدد هناك. ونتيجة لذلك، اتفقت "حماس" وبعض زعماء الحامولات على أنه في الانتخابات البلدية

والبرلمانية لعامي 2005 و2006، سيتم وضع بعضهم كمؤيدين لـ "فتح"، وبعضهم الآخر كمؤيدين لـ "حماس"، من بين العدد الإجمالي لمرشحي العشائر، بحيث لا يصوتون كتلة واحدة ولمنظمة واحدة، كما كان من قبل. وقد سمح نظام الدوائر الانتخابية متعددة الأعضاء القيام بذلك.

وعلى نحو متزايد، بدأت العشائر في الدفاع عن مصالحها من خلال اللجوء إلى العنف، أو التهديد باستخدامه. وفي ظل غياب هياكل دولة كاملة وفعالة لعقود من الزمن، لم يتمكن الفرد الفلسطيني من الاعتماد على حماية الدولة، وأصبح مهتماً بتعزيز العلاقات بين العشائر. وبالتالي، أصبحت القدرة على نشر عدد معين من الأشخاص المسلحين لحماية مصالحهم المؤسسية، أو لدعم أحد رجال القبائل، أحد المكونات الإلزامية لقوة عشيرة معينة. وتبين أن وظيفة السلطة لدى العشائر كانت مطلوبة، بشكل خاص في الفترة 2004-2007.

ومن علامات ذلك الوقت ظهور نشاط ما يسمى بـ "لجان الشباب" أو "لجان الدفاع"، التي تشكلت من بين الشباب الذين بحثوا هنا عن مصدر دخلهم الوحيد، في ظروف البطالة المرتفعة.

أقامت الميليشيات العشائرية نقاط تفتيش غير قانونية على مداخل أحيائها، وحولتها إلى مناطق خارجة عن سيطرة قوات الأمن التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، وقامت بتحصيل رسوم غير قانونية على الطرق، من أجل المرور الآمن.

تدهور الوضع الأمني بشكل خطير، وزادت معدلات الجريمة. وكما لاحظ سكان قطاع غزة، أصبح الرجال يستخدمون الأسلحة بشكل متزايد أثناء النزاعات، دون خوف من العقوبات التي تفرضها وكالات إنفاذ القانون المنخرطة في الصراع على السلطة في منظمة التحرير، بعد وفاة ياسر عرفات، لاسيما في غضون الانتخابات البرلمانية عام 2006.

أجبرت "لجان الشباب" الأطباء على إعطاء الأولوية في الرعاية الطبية لزملائهم من رجال القبائل، وكانت هناك حالات تعرض فيها حراس المستشفى، الذين لم يسمحوا لأقاربهم برؤية المرضى، لإطلاق النار على أرجلهم. تم تهديد موظفي شركات الإسكان والخدمات المجتمعية الذين حاولوا قطع إمدادات الكهرباء عن المدنيين من أي عشيرة بالقتل. وأثارت الصراعات بين ممثلي العشائر المختلفة آلية الثأر، مما ساهم بشكل أكبر في انتشار العنف. وكعلامة لافتة للنظر في ذلك الوقت، استشهد الفلسطينيون الذين أجرى باحثون من "مجموعة الأزومات الدولية" مقابلات معهم، بقصة كيف بدأ مثل إحدى العشائر المفاوضات مع الجانب الآخر، من خلال وضع الأسلحة على الطاولة، بينما أحضر أحد أفراد عائلة أبو حسنين، من أجل إقناع الطرف الآخر، لبوة تم اختطافها من حديقة الحيوان المحلية إلى الاجتماع مقيدة بسلسلة

(أعيد الحيوان إلى مكانه بعد وصول حماس إلى السلطة) [20: ص 10-11].

ومع تصاعد التوترات بين "فتح" و"حماس" في العام 2006 والنصف الأول من العام 2007، انجذبت الميليشيات العشائرية إلى المواجهة. وهكذا، قام أحد قادة "فتح" محمد دحلان، الذي تمتع بمكانة قوية في قطاع غزة، باستئجار مقاتلين عشائريين، للقتال ضد "حماس"، بما في ذلك مجموعة ممتاز دغمش الذي شارك قبل بضعة أشهر في عمليات عسكرية مشتركة مع الإسلاميين. وعلى الرغم من عدم الوضوح في علاقاته، ظل دغمش مخلصاً للخط المتشدد والشعبي المناهض لإسرائيل. دفعت المخاوف من أن تؤدي المصالحة بين "فتح" و"حماس" إلى وضع حد للتوسع العشائري السيد دغمش إلى معارضة "اتفاق مكة" في فبراير/شباط 2007، والذي كان من المفترض أن ينهي الحرب الأهلية منخفضة الحدة في فلسطين.

لم يكن جميع زعماء العشائر سعداء بانزلاق قطاع غزة إلى الفوضى، فقد خاطر قادة الجيل الأكبر سناً بفقدان السلطة عندما تم إقصاؤهم جانباً، من قبل قادة "لجان الشباب" الحازمين. وبعد وقت قصير من إبرام "اتفاق مكة"، اتفق زعماء الحامولات على الالتزام به. ونشرت رسالة حول قرار السلطات العشائرية في شوارع قطاع غزة، وتم التأكيد على أن المخالفين الذين يرفضون ذلك سيفقدون حماية ذويهم.

وعلى الرغم من أن "اتفاق مكة" لم يؤد إلى تطبيع الوضع في منطقة الحكم الذاتي، إلا أن حقيقة قيام العشائر بدور الضامين له أوضح مدى نمو نفوذها. وفي وقت لاحق، كما لاحظ المراقبون، ظلت العشائر بمعزل إلى حد كبير عن الصراع بين "حماس" و"فتح"، الذي استؤنف في يونيو/حزيران 2007 [20: ص 11-12]. ويعود ذلك من ناحية إلى أن العشائر وضعت مصالحها فوق المصالح الحزبية والإيديولوجية، ومن ناحية أخرى، فإن إدراجها في صراع الابعين من المستوى الأول سيكون استخداماً غير معقول للموارد، وقد يؤدي إلى إلحاق ضرر جسيم بالعلاقات مع أحدهم دون الآخر.

حماس ضد العشائر: فرض التسوية

فتح انتصار "حماس" على "فتح" في صراع حزيران/يونيو 2007 صفحة جديدة في العلاقة بين السلطات والعشائر المحلية. أدى استلام الإسلاميين للسلطة إلى تغيير جذري في نهجهم تجاه العشائر. الحامولة التي تعززت على مدى سنوات الفوضى بفضل دعم "فتح"، أصبحت تشكل تحدياً خطيراً لـ "حماس".

قررت حكومة حماس السيطرة على الوضع في غزة، بعد فترة طويلة من الفوضى. وكان من الضروري حل المهام التالية: إضعاف الميليشيات العشائرية، وضمان الأمن في الشوارع، ووضع حد للاشتباكات بين العشائر، وحل النزاعات بين السلالات، وفرض السيطرة على اقتصاد الظل الذي تركز في أيدي قادتها. وهكذا، تصرف الإسلاميون بما يخدم مصالحهم الخاصة، ومصالح الفلسطينيين العاديين.

وعلى الرغم من انتقادات المجتمع الدولي، كان من المهم بالنسبة للمنظمة أن تؤكد قدرتها على إرساء النظام في قطاع غزة - سواء من أجل الظهور كقوة سياسية مسؤولة، أو حتى لا تعرض استمرار تلقي الفلسطينيين للمساعدات الإنسانية من المنظمات الدولية للخطر، والتي يمكنها الانسحاب من المنطقة غير الآمنة. في الوقت نفسه، أظهرت حكومة إسماعيل هنية واقعية، فلم تحاول القضاء على نفوذ العشائر بشكل كامل، بل اتبعت طريق إجبارها على التنازل، وفق الشروط التي يفرضها الإسلاميون. وكان يكفي أن تقوم القيادة الإسلامية بتثبيت "حماس"



أظهرت حكومة إسماعيل هنية واقعية،

فلم تحاول القضاء على نفوذ العشائر بشكل كامل، بل اتبعت طريق إجبارها على التنازل، وفق الشروط التي يفضلها الإسلاميون

إذا تسامحت إدارة ياسر عرفات مع طموحات العشائر، ووسعت نطاق وصولها إلى السلطة والموارد، مقابل الولاء، فقد ضيق الإسلاميون مجال نشاطها.

كتنازل... قام الإسلاميون بتعيين ممثلين عشائريين مؤثرين في مناصب، ضمن الهياكل الحكومية الغزاوية

نقلت حكومة "حماس"، التي أدركت أنها غير قادرة في الأزمات على تقديم المساعدة لجميع المحتاجين، جزءاً من المسؤولية إلى العشائر التي تساعد أقاربها الفقراء، من خلال الآليات التقليدية للمساعدة المتبادلة.. كذلك عمل زعماء العشائر أيضاً كممثلين مناسبين لمصالح "حماس"، حيث تتواصل معهم السلطات المصرية والضيوف الأجانب بسهولة أكبر، محاولين، بنفس الوقت، إقناعهم بضرورة رفع الحصار عن قطاع غزة.

ثانيًا: على الرغم من رفض "حماس" لنظام العدالة التقليدي في قطاع غزة، والذي يتعارض مع رغبة الإسلاميين، في تطوير نظام المحاكم الشرعية، إلا أنها في الواقع تسمح للمحاكم العشائرية بالعمل على نطاق واسع جداً [25].

ثالثًا: الإسلاميون الذين وصلوا إلى السلطة بشكل ديمقراطي، لم ينكروا الإجراءات الديمقراطية، وتعاونوا مع "فتح" في مسألة استعادة الحكم الذاتي الفلسطيني الموحد، وتشكيل سلطات مشتركة، مدركين أنه سيتعين عليهم عاجلاً أم آجلاً الذهاب إلى صناديق الاقتراع. وبالتالي سيكون دعم العشائر، التي جندوها في عام 2006، مهماً جداً هذه المرة من أجل تحقيق نتائج جيدة. لذلك، حاول أعضاء "حماس" تجنب التوتر غير الضروري في العلاقات مع العشائر، والتسامح مع وجودها شبه المستقل، إذا كان ذلك لا يهدد سلطتها في القطاع. وكتنازل، قام الإسلاميون بتعيين ممثلين عشائريين مؤثرين في مناصب، ضمن الهياكل الحكومية الغزاوية. على سبيل المثال، في عام 2011، حصل باسم نعيم، الذي ينحدر من عائلة بارزة من بيت حانون، على منصب وزير الصحة في حكومة هنية، وأصبح محمد المدهون من غزة وزيراً لشؤون الشباب والرياضة.

وبحسب أحد مصادر "المونيتور" في قطاع غزة، فإن "حماس" أخذت بالحسبان خصوصيات المجتمع الفلسطيني، محاولة عند تعيين المسؤولين اختيار مرشحين يضمنون تمثيل شريحة معينة، على سبيل المثال، اللاجئين أو عشيرة معينة [14].

رابعاً: إن الضغط المفرط على العشائر قد يساهم في انتشار المشاعر الإسلامية المتطرفة بينها، خاصة بين الشباب وفي الجناح الأمني. وكان إعلان عشيرة دغمش ولاءها لـ "تنظيم القاعدة" في عام 2007، ومشاركة العشيرة عام 2009 في إعلان "إمارة إسلامية" في رفح تحذيراً مهماً لـ "حماس" [3؛ 4]، فضلاً عن استخدام شعار "داعش" من قبل أعضاء الحركة السلفية السرية في قطاع غزة، منتقدين "حماس"، لحفاظها على هدنة مع إسرائيل، وعدم الرغبة الكافية في فرض الشريعة الإسلامية [21].

من الواضح أن قيادة "حماس" اعتقدت أن إضعاف

حاملي الأسلحة، وأن يتم تسليم المركبات والأسلحة المسجلة كممتلكات للسلطة الوطنية الفلسطينية والتي استلموها كموظفين فيها، إلى "حماس" باعتبارها الحكومة الشرعية الجديدة في قطاع غزة [26؛ ص 14]. وفي صيف عام 2008، تعرضت عشائر الحلس والدغمش للقمع مرة أخرى. ويبدو أن السبب الحقيقي لم يكن الاشتباكات بين أعضائها ونشطاء "حماس"، بل شكوك الإسلاميين في العلاقات الوثيقة بين العشيرتين و"فتح" [28، 60].

ومع شعورهم بدعم السكان الذين سنموا الفوضى، تمكن الإسلاميون من استعادة النظام في غضون بضعة أشهر. حققت حكومة إسماعيل هنية سيطرة جزئية على الأعمال شبه الإجرامية للعشائر، وفرضت ضرائب على الدخل الناتج عن التهريب، وزادت الرسوم الجمركية على الإسكان والخدمات المجتمعية... أما محصلو الديون الحكومية، الذين كانوا في السابق يشعرون بالقلق من الظهور في مناطق العشائر، فقد أصبحوا الآن برفقة أعضاء من القوة التنفيذية، الذين أجبروا الناس على دفع فواتيرهم. وبالتالي انخفض معدل الجريمة في القطاع بشكل حاد، وتوقف أعضاء الميليشيات العشائرية عن السير في الشوارع حاملين الأسلحة، وتمت إزالة نقاط التفتيش غير القانونية.. يقدر نشطاء حقوق الإنسان الفلسطينيين أن عدد الحوادث المتعلقة بالعنف العشائري قد انخفض بنسبة 80% بحلول مارس 2010!

تم الجمع بين طرق الضغط المباشر والطرق غير المباشرة، حيث أفاد بعض ممثلي العشائر إن "حماس" دعمت العشائر الصغيرة، من خلال تحريضها ضد منافسين أكبر.. وبهذه الطريقة، لم تقاوت الحركة ضد العشائر الكبيرة القدرة على تحديها فحسب، بل غيرت أيضاً ميزان القوى بينها. ومع ذلك، وكما لاحظ الفلسطينيون، فإن أي نظام في قطاع غزة سيتبع سياسة مماثلة، ويقوم بشراء الولاء، وتعزيز قوة عشائر معينة على حساب أخرى [14؛ 28؛ ص 16-17].

تخفيف سياسة حماس تجاه العشائر

ولعل الإنجاز الرئيس في سياسة "حماس" تجاه العشائر تمثل في شيء آخر. فقد قامت ببناء نموذج علاقات مختلف، بشكل جوهري عن ذلك القائم في عهد "فتح". فإذا تسامحت إدارة ياسر عرفات مع طموحات العشائر، ووسعت نطاق وصولها إلى السلطة والموارد، مقابل الولاء، فقد ضيق الإسلاميون مجال نشاطها. توقفت عملية دمج نشطاء العشائر غير المؤثوق بهم في قوات الأمن، واقتصرت أنشطة العشائر، التي يعترف بها الإسلاميون الأكثر واقعية كجزء لا يتجزأ من المجتمع الفلسطيني، على عدة مجالات:

أولاً: احتفظت باستقلال اقتصادي واسع النطاق، وبالمهن التقليدية المسموح بها.

رائدة في قطاع غزة، والتي رغم أنها لا تحتل موقعاً احتكاريًا، إلا أنها في الوقت نفسه لا تسمح بوجود أي معارضة، لاسيما المرتبطة بـ "فتح"، يمكن أن تكون قادرة على هز سلطتها. تصرفات "حماس" بقسوة وحسم، معتمدة على تفوقها في العدد والسلاح.. لقد حسبوا أنه بالنسبة للأعضاء المنضبطين، وذوي الدوافع الدينية، كان الولاء للحركة أكثر أهمية من الانتماء إلى العشيرة.

وجهت الضربة الأولى إلى عشيرة (أبو بكر) التي سكنت في ضواحي غزة. ورداً على الهجوم على أحد أفراد القوات التنفيذية، حاصرت قوات الأمن التابعة لـ "حماس" الحي الذي يقطنون فيه، وقطعت المياه والكهرباء وإمدادات الغذاء، وأطلقت النار على تسعة من أفراد العشيرة الذين قاوموا الحصار. وفي النهاية فر زعماء العشيرة إلى مصر، وأجبرت بقية ميليشيا العشيرة على الاستسلام. بعد مرور بعض الوقت على ذلك، خاف رجال أبي بكر الخروج إلى البحر للصيد، واشتكوا بأن العشيرة فقدت شرفها [26؛ ص 12].

ومن أجل تحسين سمعتها الدولية، كان من المهم بالنسبة لـ "حماس" أن تعمل على حل قضية إطلاق سراح الصحفي في "هينة الإذاعة البريطانية" آلان جونستون، الذي اختطفته عشيرة دغمش في مارس/آذار 2007، حيث طالب أفرادها الذين يعملون تحت ستار "جيش الإسلام"، بريطانيا العظمى بالإفراج عن جميع الإسلاميين المدانين بارتكاب جرائم إرهابية ودفع فدية كبيرة.

ومن بين الذين طالب المسلحون بإطلاق سراحهم الداعية المتشددة أبو قتادة، أحد الزعماء الروحيين لأنصار "تنظيم القاعدة" في أوروبا.

تم إطلاق سراح جونستون في 4 يوليو/تموز من نفس العام، بعدما قامت، على ما يُعتقد، قوات الأمن التابعة لـ "حماس" بمحاصرة المبنى الذي كان الرهينة محتجزاً فيه. وبحسب مصادر أخرى، فإن "جيش الإسلام" وعشيرة دغمش تمكنوا من الحصول على فدية قدرها 5 ملايين دولار، وأسلحة وذخائر، والاعتراف بأنفسهم كقوة شرعية في القطاع من قبل "حماس" [9؛ 16].

في سبتمبر/أيلول 2007، انتصرت "حماس" في صراع مسلح ضد عشيرة الحلس، والذي اندلع بعد أن حاولت القوات التنفيذية اعتقال عدد من أفراد العشيرة. واضطرت هذه الأخيرة إلى إبرام اتفاق لوقف إطلاق النار، يضمن توقف أعضائها عن السير في الشوارع

في سياق الصراع الفلسطيني الإسرائيلي الطويل الأمد والحياة السياسية المضطربة، استقراره وقدرته على التكيف.

لا تزال تحتفظ بأهميتها باعتبارها البنية الأساسية والمترابطة لجزء من المجتمع الفلسطيني.

من المرجح أن نمو قوة المجموعات التقليدية في نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الحادي والعشرين

. Balousha H. Hamas relies on support from large Gaza .14

Ze'evi D. Clans and Militias in Palestinian Politics // .34
.Brandeis University. Crown Center for Middle East Studies



غزة في الوجدان السوري

محمد منصور

للمدن أرواح وأقدار مكتوبة في سجلات التاريخ. وكلما نبضت روح المدينة بحب الحياة وإبداع معانيها في هذا الشرق الحزين، كلما كانت أقدارها عسيرة ومأساوية.

هكذا كان قدر دمشق أن تدفع ثمن أصالتها المتراكمة وفراة إرثها، وهكذا كان قدر غزة أن تدفع ثمن موقعها الجغرافي كبوابة مصر إلى بلاد الشام، وبوابة بلاد الشام إلى الجزيرة العربية واليمن. ولم تكن أقدار الأدوار السياسية والوطنية بأخف وطأة على غزة من أقدار التاريخ والجغرافيا، فغدت زهرة الجنوب الفلسطيني منذ عقود، عنوانا لفلسطين، كل فلسطين المقاومة، حين لا تمل الكفاح ولا تتعب من الرفض ولا تتنصل من التمرد على الأسوار والقيود وضمن الذل حين يصبح سمة الرضا بالقهر والطغيان والاستيطان. وإذا كان الشر الإيراني قد تسلسل إلى قدر غزة السياسي المقاوم، وحاول أن يخالط طهرها بنجاسته، فعليها ألا ننسى أنه في قلب هذا التغفل الموبوء، لم يخطئ الغزيون البوصلة أبدا. ولا أنسى كسوري صدمه تعليق صور قاتل أبناء وطني المجرم قاسم سليمان في ميادين وساحات غزة من قبل سلطتي حماس والجهاد. كيف بادر شباب غزة إلى تزيينها بعد أن شطبوا وصف "شهيد القدس" وعالجوا صورته باللون الأسود الذي يليق به، واضعين علامة "إكس" على اسمه بالكامل. لا أنسى أطفال الفقر والشرف في غزة كيف تحدثوا يوما عن اللاجئين السوريين أمام الكاميرات في استطلاع تلفزيوني، وكأنهم توارثوا الشهامة والنبل في جيناتهم، لا في سلوك آبائهم وسجل مدينتهم المجيد وحسب.

لغزة النبيلة الشامخة، غزة الأكثر حرية رغم حصارها، الأكثر غنى وثراء رغم فقرها، غزة الشريفة المدماة التي تشبهنا وتكلمنا، نقدم هذا العدد الخاص من مجلة (العربي القديم) تحية من كتاب وأدباء ومتقنين سوريين للمدينة التي تواجه حرب إبادة وحشية على مرأى ومسمع من العالم، فتمضي قوافل الشهداء على دروبها المدمرة يوميا، لتخط فوق كل هذا الدم والدمار ذاكرة للشرف الرفيع، الذي يرتقي بأرواح أبنائها إلى مراقي الخلود، ويهبط بالعالم المتفرج إلى مهاوي العار. يكتب السوريون هنا، عن غزة الماضي والحاضر، عن غزة التاريخ والذاكرة، عن غزة المواقف والمبادئ والسياسات والتبدلات، ليصوغوا تحية مترعة بالإيمان للمدينة التي تذكر السوريين بمساهماتهم خلال سنوات ثورتهم الطويلة، فتغدو غزة قدوة وقربنا وملهمنا في صبر وثبات أهل الحق، وفي وحشية وشراسة الباطل حين يرمي بعرض الحائط كل قانون وكل عرف أو اعتبار إنساني.

ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر العميق للكتاب والإساتذة الذين أغنوا صفحات هذا العدد بمساهماتهم القيمة، فقرؤوا تاريخ غزة، وترجموا سجل عساكرها وأدوارها السياسية، وأغنوا المشهد الراهن بتأملاتهم وتحليلاتهم السياسية. فقد جسدت غزة على الدوام، تاريخا مفعما بالكبرياء للناس البسطاء، وذاكرة تستحق أن تستعاد في كل وقت، وحلما بالحرية والنهوض وحب الحياة يستحق أن يروى عنه الكثير للأجيال المقبلة.

رجال الفكر العربي في دار الإذاعة الفلسطينية



الدكتور عبد الوهاب عزام

الدكتور محمد عوض

محمد بك كرد علي

الأستاذ طه الراوي

«إن لكم ماخيا عظيما وحاضرا على العلات كريا» فابنوا بعقولكم وإيديكم مستقبلا جليلا وتقدموا لحركم وخير الامم كلها بالعلوم والاخلاق وشركو في بناء مدنية قاضلة فيها من الاسلام والعربية معال وفضائل، ورجة وبر، وحرية واخوة، وعدل واحسان.

«فيا اخواني أبناء الوطن العربي» وأبناء الوطن الاسلامي الاعظم آتيا تشهد اليوم عهدا نظره الكوارث والجن. وما أحوالنا وسط هذا البلاد الشامل أن تعاون وتنازر وأن يد كل منا يده لصحة أخيه، حتى نخرج جميعا وسط هذه الحقن من الرأى موفوري

«إذا شئتم أن تفتلوا في الاذهان ما كان يبذله العرب أيام عزهم على العلم والعلماء» ألقوا نظرة على دولة من الدول الراقية اليوم، وعلى ما تعني به من بث المعارف في امتها، تستخرجوا صورة من صور العناية بالعلوم في الدول الاسلامية السالفة. وابتغوا مع هذا

أيتها الأمة الكريمة. ان في العالم اليوم لحظة أيقظت الراقيين وحركت الراكدين، فهل أنتم مستيقظون متحركون، وقد شئت الامم بطايتها هممها وأزغفت عزائها فهل أنتم شادون مرهقون. فلعمرى لقد آن توحيد الجهود للقيام بعظام الاعمال في ظل شورى

«من حديث تحفة العبد»

«من حديث تحفة العبد»

«من حديث تحفة العبد»

«من حديث تحفة العبد»

نخبة من اعلام الفكر العربي الذين استضافتهم إذاعة القدس في شهر رمضان 1362هـ تشرين الأول/ أكتوبر 1943 ليقدّموا أحاديثهم للمستمعين. طه الراوي من بغداد، محمد كرد علي من دمشق، محمد عوض وعبد الوهاب عزام من القاهرة

انفجار مرفع رمضان في غزة: إصابة رجل وموقف طبيب المستشفى الغريب

جريدة [الجامعة الإسلامية] 1934/12/11

الإصلاح، فأطارت كفه الأيسر، وجرحته الكف الأيمن جرحا بليغا. وقد تراخض أهل الجريح إلى دار طبيب الصحة ورجوه الذهاب إلى المستشفى لإسعاف الجريح الذي يحتمل أن يتأثر بنزيف دموي، فأبى عليهم ووعدهم بالذهاب في الصباح. ثم ذهب هؤلاء، وأعلموا دائرة البوليس بالحادث، وهذه بدورها هاتفت الطبيب المذكور بأن يتنازل ويتكرم بإسعاف الجريح مرة أخرى، فوعدها بالذهاب في الصباح أيضا. فهل يتفق هذا مع القسم الذي يقسمه كل طبيب، لدى تخرجه من معهد الطب بأن يلبى داعي الإنسانية مهما كلفه الأمر سواء أكان الوقت نهارا أو ليلا؟

اشتهر بشخصية بربري فلسطين

طيو العربي الصيراوي ممثل فلسطين الأول

مجلة [المنتدى] العدد (42) 22 نوفمبر 1946



ووجدته يتحرك من مكان إلى مكان ويغير صوته، من بربري إلى فلاح ثم إلى سيدة وتركى... إلخ. وأود أن أقدم هذا الفنان الموهوب لقراء المنتدى والذين طالما أرادوا أن يعرفوا حقيقة اسمه وشخصيته.

تري هيئة تحرير المنتدى، أنه من واجبها نشر صورة فنان فلسطين الأول (طيبو العربي الصيداوي) الذي طالما استمعنا إليه من محطة القدس، ومحطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية، تحت اسم مستعار "بربري فلسطين"، والذي كان يقوم في تمثيل رواية كاملة بنفسه متلبسا بجميع الأدوار، وبإتقان يصعب على الممثلين أنفسهم أن يكشفوا سره، الذي يعد فخرا وعلمنا من اعلام الفن في فلسطين.

أتاحت لي الفرصة لزيارة الإذاعة وكان ممثلنا آنذاك يقوم بتمثيل رواية وحده، مؤديا تمثيل عشرة أشخاص بلهجات مختلفة، من بينهم سيدتان. ولم أصدق عيني وأنا أسمعه في غرفة المراقبة، وما أشد دهشتي عندما دخلت الاستوديو،



مجلة [المنتدى] المجلد الأول- العدد الثامن- نوفمبر 1943

افتتحت مدرسة البلدية للاناث أبوابها لقبول الطالبات منذ أول السنة الدراسية وقبل فيها عدد كبير من فتيات المدينة اللائي وجدن في هذه المدرسة متسعا لهن ولولاهما لأصبح السواد الاعظم منهن محروما من التعليم. وقد كان لسعادة رئيس البلدية السيد رشدي الشوا سعيًا مشكورا في اتخاذ الترتيبات لقبول أكبر عدد من الطالبات في هذه المدرسة الفتية وفي فتح الصف السادس الذي جعل مدرسة البلدية ابتدائية كاملة.

لقد اسفرت الجهود التي بذلتها دائرة البلدية بالتعاون مع دائرة الصحة عن نجاح تام في مكافحة الماريا خلال أشهر الصيف الماضية. اذ انه لم تقع أى إصابة بالماريا بين سكان المدينة انفسهم. ويقوم رئيس البلدية السيد رشدي الشوا بزيارة مختلف مناطق المدينة للوقوف على الحالة الصحية والنظافة العامة.

ساهمت البلدية في مشروع تغذية فقراء طلاب المدينة وخصصت من اجل هذا المشروع الخيري مبلغ ٢٥٠ جنيها كمساعدة سنوية تقدمها البلدية وتدفعها على أقساط.

قامت البلدية قبيل أيام العيد بصرف المساعدات المادية لعدد كبير من فقراء المدينة وقد وجه رئيس البلدية عنايته الخاصة الى بعض العائلات المحتاجة والمتعففة عن السؤال وصرف لها مساعدات ذات قيمة.